أهمية الترجمة

بقلم /
بشير العيسوي

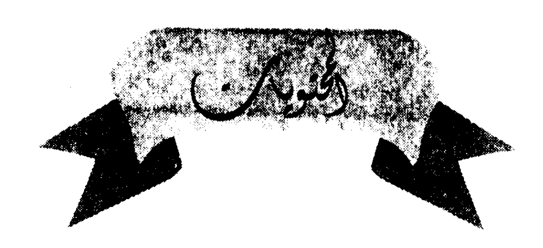
أهمية الترجمة

بشير العيسوي

الإهداء

إلى صديقى الأستاذ الدكتور / **فوزى عطية**، العميد الأسبق بكلية الألسن (رحمه الله)، أهدى هذا العمل، فقد كان شاهدًا على بداياته، وكان لأحاديثه فضل كبير فى بلورة بعض القضايا التى يحويها.





الموضوع	الصفحة



مقدمة

لن أضيف كثيراً عندما أذكّر بأهمية الترجمة ودورها فى تاريخ الفرد والمجتمع. وكذلك لن آتى بجديد حين أذكّر بالعلاقة الوطيدة بين تعلم اللغات الأجنبية والترجمة إلى العربية - وخصوصاً أن حالة من الملل والانكسار النفسى التى تسود أوساطنا الثقافية يعزوها البعض إلى عوامل اقتصادية عوامل أخرى لسنا فى مجال الخوض فيها.

ولقد شغلتنى بعض قضايا الترجمة إلى العربية، منها القضايا التى يناقشها كتاب اليوم. وهناك من يشاركنى الاهتمام بهذه القضايا، ولكن يبدو أن إثارتها مكتوبة لايحظى بحماس ذلك البعض. إن قضايا الترجمة إلى العربية تستحق منا التوقف والدراسة والخلوص إلى نتائج عملية ومعقولة بعيداً عن العبادات الإنشائية التى منها "ونرى إنشاء هيئة عليا للترجمة" و "فى رأينا أن تقوم لجنة بدراسة أحوال الترجمة". ستبقى الترجمة جهداً فردياً بالدرجة الأولى، أما دور المؤسسات - حكومية أو خاصة - فيأتى بالدرجة الثانية، حيث يكون لها دور التمويل والمساعدة فى النشر والتوزيع. وأشير هنا إلى مثال قائم ألا وهو سلسلة "عالم المعرفة" بدولة الكويت، فإن نسبة تزيد عن الستين بالمائة من أعمالهم المنشورة (١٩٥ عملاً حتى مايو ١٩٩٥) هى أعمال مترجمة من مختلف لغات العالم إلى العربية. والنظام المتبع فى عالم المعرفة يقوم على الدعوة فقط؛ أى أن المترجم يتقدم بمشروع الترجمة وإذا رأت اللجان الفنية أن ذلك العمل لم يسبق ترجمته، وأنه يستحق الترجمة فإنها توافق على ذلك المشروع. وبالطبع فإن لتلك المؤسسة المحترمة القدرة على التوزيع الكبير وكذلك الدفع المجزى للمترجمين الذين يبذلون كل مافى وسعهم لخدمة الثقافة العربية. وجامعة الملك سعود بها مركز متخصص فى الترجمة يقوم على أمره مجموعة متميزة من المتخصصين فى مختلف اللغات ومشاريعه الطموحة تشمل إصدار بيبليوجرافيا الأعمال المترجمة إلى العربية من مختلف اللغات، وهو ما طالبنا به فى أول دراسة فى هذا الكتاب حتى نتجنب تعدد الترجمات للنص الأجنبى الواحد. كما أن مشروع الألف كتاب، الذى تقوم به الهيئة المصرية العامة للكتاب، مشروع رائد يهدف إلى نقل الموجود الغربى إلى ثقافتنا العربية حسب خطة مدروسة ومنظمة.

إذن، الترجمة إلى العربية ينقصها عناصر أخرى غير وجود المؤسسات، فهاهى المؤسسات قائمة وموجودة. الترجمة إلى العربية فى حالنا الراهن ينقصها أن نجيب عن أسئلة جوهرية منها : ماذا نترجم؟ من يترجم؟

وبالطبع السؤال التقليدى الذى نحار فى الإجابة عنه : من هو المترجم؟ الإجابة على السؤال الأول تحتم أن يكون هناك تفاهم بين الجهات القائمة على الترجمة والمترجمين بغرض أن يجاز للترجمة فقط الأعمال الحديثة والمعاصرة التى تخدم علومنا وثقافتنا. ونحن لا نحدد تاريخاً بعينه لعمر الأعمال التى ينبغى ترجمتها، فالذى يحكم ذلك هو حاجتنا للإستزادة من المعرفة فى حقل ما، وليس ذائقة فرد يرى أن الكاتب فلان متميز ولذا يجب ترجمة أعماله كاملة وإضاعة السنوات فى إشباع رغبة ذلك الفرد حتى ولو كان أديباً أو ناقداً.

أما السؤال الثانى فإن إجابته هى كل قضية الترجمة. إذا كان من يترجم شكسبير وميلتون ومارلو ووردذورث هم خريجو أقسام اللغة الإنجليزية من جامعاتنا العربية، فمن يترجم موسوعات الطب والصيدلة والهندسة والصواريخ وعلوم الفضاء؟ وهنا أجدنى أتفق تماماً مع ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور محمد عنانى، فى مناقشتى لأدائه فى هذا الكتاب، من أنه لا توجد لغة أدبية وأخرى سياسية وثالثة اقتصادية، ومن ثم لا يوجد مترجم أدبى وآخر سياسى وثالث اقتصادى. فالترجمة فن مَنْ يُجده يستطع أن يترجم فى أى حقل. والتخصص مطلوب، لكنه لا يعنى أن من يترجم الطب يكن طبيباً. التخصص الذى نعفيه هو طول المراس فى تناول مواد حقل معرفى معين، فذلك مايكسب المترجم خبرة لغوية فى التعامل مع مصطلحات ذلك الحقل. ولابد أن أشيد هنا بتوصيات المؤتمر الذى عقدته أكاديمية البحث العلمى، حول الترجمة العلمية (١٩٩٥) والذى أكد على أهمية التنسيق بين المترجمين والعلماء فى كافة التخصصات أثناء عملية الترجمة. فذلك مما يبعد كثيراً من الإبهام والغموض فى النصوص المترجمة إلى العربية، ذلك أن معظم من يقومون بها هم من دارسى اللغة الإنجليزية وآدابها ومعرفتهم بالعلوم والطب - فى حد تقديرى - ليست عميقة.

أما السؤال الثالث : من هو المترجم؟ فإجابته لن تحددها مقدمة قصيرة كهذه. ولكن قد يكون لى الحق أن أطرح تصورى عن شخصية المترجم. المترجم

هو من يؤلف نصاً قبلياً، ويبحث بعد ذلك عن لغة يؤطره فيها. فإذا قرأ المترجم العربى قصيدة لإليوت مثلاً، فإنه يفهمها ويبدأ فى تأطيرها بلغته وهى العربية فيأتى ذلك النص عربياً؛ قد يكون له صفة النص العربى الخالص، وقد تشوبه بعض الشوائب التى تخرجه من ميزة كمال النص العربى، إلا أنها تبقى محاولة لوضع ذلك النص القبلى الذى رآه المترجم ونقله إلى العربية هكذا. أما مؤهلات ذلك المترجم فلا أستطيع القطع بها، كأن نقول مثلاً أنه ينبغى أن يكون خريج كلية كذا أو كذا. فذلك تحجيم لأفق عريض، وإلا فمن أى كلية تخرج مترجمو العصرين العباسيين الأول والثانى الذين نتحدث عنهم فى الدراسة قبل الأخيرة من هذا الكتاب. إن وجود كليات متخصصة يساعد فى تكوين المترجم الكفء، لكن العكس ليس صحيحاً.

أضع بين يدى القارئ الكريم بعضاً من مشكلات الترجمة إلى العربية، وأطرح فيها بعضاً من آرائى قد نختلف أو نتفق حولها. ومن تلك القضايا "تعددية النص المترجم إلى العربية" - لماذا يترجم نص إنجليزى - مثلاً - عشرة مرات إلى اللغة العربية، وفى كثير من الأحوال يعلق كل مترجم، على حدة، أن ترجمته هى الأولى.

"غياب المفهوم التاريخى فى النصوص المترجمة إلى العربية" هى ثانى دراسة، وهى تناقش الأسماء والأماكن وتاريخهما فى الإنجليزية، وذلك مفهوم لدى دارسى الإنجليزية، أو متكلميها، لكننا حين نترجمها إلى العربية فإن ذلك الفهم ينعدم تماماً إلا إذا تدخل المترجم ليوضح بين حين وآخر معنى ذلك الاسم ومفهومه.

"اللغة العربية بين التصعيد والترجمة" دراسة توضح مدى صلابة اللغة العربية وصمودها فى وجه موجات الغزو اللغوى واحتواء المفردات التى ترد إلينا حديثاً إما بالترجمة الصرفة، أو باستيعابها كما هى مع إضافة الزيادات العربية عليها. أما "تعريب العلوم وقضية الدولة" فهو رد على معالى الأستاذ الدكتور الشاذلى القليبى حول مقال نشر بالأهرام فى ٢٧/ ٤/ ١٩٩٤ وأرسلت هذا الرد إلى الأستاذ لطفى الخولى لكن يبدو أنه لم يحظ بالنشر، وأنشر مع ردى ملحق (أ)

وفيه مقاله الدكتور القليبى لما لها من قيمة أدبية رفيعة من قلم رجل صاحب خبرة طويلة فى العمل العربى.

بعد ذلك "عنانى وفن الترجمة" أناقش فيها آراء متخصص وممارس للترجمة ومكابد لعناء النص. إن كتاب الدكتور عنانى - "فن الترجمة" - مرجع متميز فى الترجمة إلى العربية لا يجب أن تخلو منه مكتبة مؤسسة مهتمه بالترجمة.

أما "وظيفة الترجمة" فهى مقالة حاولت فيها أن أحدد بعض مهام وظيفة الترجمة فى حياتنا المعاصرة - وقد أثارت تلك المقالة جدلاً كان من نتائجه الرد الذى تفضل به الأستاذ الدكتور محمد القويفلى وكيل كلية الآداب جامعة الملك سعود، والذى أعتز بإعادة نشره هنا فى ملحق (ب)، وكذلك أنشر ردى على مقالته تلك.

"الترجمة الإبداعية" مقالة بذلت فيها الكثير من الجهد وأظننى أثير قضية لم يتطرق إليها أى من المهتمين بالترجمة إلا من بعيد. أما "ترجمة المصطلح النقدى" فهى آخر دراسة، أستعرض فيها المحاولات العربية لترجمة المصطلح النقدى من السبعينات وتحديداً مع ظهور "معجم مصطلحات الأدب" (١٩٧٤) للأستاذ الدكتور مجدى وهبة، ثم "المعجم الأدبى" (١٩٧٩) للأستاذ جبور عبد النور، مروراً "بموسوعة المصطلح النقدى"(١٩٨٣) التى جمعها جون جمب فى ثلاثة أجزاء وترجمها إلى العربية الأستاذ الدكتور عبد الواحد لؤلؤة، ثم "النظرية الأدبية المعاصرة" (١٩٩١) لرامان سلدن التى ترجمها إلى العربية الأستاذ الدكتور جابر عصفور، وصولاً إلى "دليل الناقد الأدبى"(١٩٩٥) للدكتور سعد البازعى بالاشتراك مع الدكتور ميجان الرويلى.

هذا، والله أسأل التوفيق من لدنه سبحانه وتعالى، كما أسأله أن يوسع رقعة المهتمين بالترجمة عموماً، وخصوصاً الترجمة إلى العربية. كما أتقدم بالشكر إلى كل قارئ - اتفق أو اختلف - مع ماذهبت إليه فى هذا الكتاب المتواضع.

د. بشير العيسوى

القاهرة فى ١٩٩٥/٧/٢٦

تعددية النص المترجم إلى اللغة العربية(*)

تعددية النص المترجم إلى اللغة العربية واحدة من القضايا التى تلفت انتباه دارسى الترجمة. وتتلخص القضية فى وجود عدد من الترجمات العربية التى تظهر من وقت لآخر فى بلدان عربية متباعدة أو متقاربة ثقافةً وحدوداً، وتلك الترجمات لا تختلف كثيراً عن بعضها البعض طالما أن خطة المترجم هى النقل عن النص الأصلى للعمل موضوع الترجمة. وتختلف النصوص المترجمة عن النص الأصلى فى حالات منفردة كأن يعلن المترجم أنه يقوم بتمصير مسرحية لشكسبير مثلاً فتأتي أسماء أبطاله عربية مصرية وتأتى الأحداث والوقائع مصرية وهذا النوع من الترجمات وكذلك الاقتباسات ليس موضوعنا اليوم.

ونحن لا ننكر على المترجم العربى تعددية النص المترجم إن كان لذلك ما يبرره، فظهور ترجمة عربية لعمل معين منذ مائة عام لن تكون صالحة لاستخدامنا الآن، وبذا تكون ترجمة ثانية أمرا واجبا وضروريا. ولكن وجود سبع ترجمات لمسرحية " روميو وجوليت " فى فترات متقاربة أمر يدعونا للتوقف، فقد ترجمت تلك المسرحية فى السنوات: ١٨٩٨ ترجمها عبده طاينوس، وفى ١٩٦٠ ظهرت ثلاث ترجمات وهى لسمير شيحانى، ومؤنس طه حسين، وحسن محمود، وفى ١٩٧٨ ظهرت ترجمتان لكل من جمال غازى وعلى أحمد باكثير. وكذلك الأوديسة لهوميروس تُرجمت ثلاث مرات: فى ١٩٤٧ ترجمتها عنبرة سلام الخالدى، وفى ١٩٦٠ ترجمها درينى خشبه، وفى ١٩٧٨ ترجمها أمين سلامة.

إن تلك الظاهرة تستدعى منا التوقف فى محاولة لدراسة الأسباب التى أدت إلى وجودها ومن ثم محاولة تلافيها كى لا تتكرد دونما داع فعلى وعملى. ومن بين تلك الأسباب، كما يتبين لى ما يلى:

١ـ عدم وجود رابطة للمترجمين العرب يستطيعون من خلالها تنسيق أعمالهم التى ينوون ترجمتها مسبقا،وكذلك التى تم ترجمتها سابقا وأذكر هنا أن أستاذنا الدكتور رمسيس عوض قد أمضى ومعه فريق من خريجى عام ١٩٨٣ بكلية الألسن قسم اللغة الإنجليزية، أمضوا ذلك العام وهم يكدون ويجتهدون فى سبيل إخراج ترجمة رواية جورج أورويل "١٩٨٤" مع بداية السنة الميلادية التالية وهى

(*) نشرت فى جريدة "عكاظ" ـ الصفحة الثقافية ـ العدد ١٠١١٧ بتاريخ ٢٠/٤/١٩٩٤ تحت عنوان "شكسبير وسبع ترجمات عربية".

١٩٨٤وقد نجح الرجل فى ذلك المضمار وفرح الجميع بذلك الإنجاز، وخصوصا أنه قد صاحبته دعاية إعلامية وتلفازية جيدة. إلا أن الفرحة لم تدم طويلاً إذا اكتشفنا أن ذلك النص قد ترجم من قبل. فقد ترجمه السورى ع . عبد الرحيم والنسخة المترجمة الموجودة بجامعة الملك سعود لا تحمل تاريخا للنشر ولكن لون الأوراق يعطيها من العمر ثلاثين عاما على الأقل، أى أن ترجمة ع. عبد الرحيم سبقت ترجمة رمسيس عوض بعشرين عاما تقريبا وقامت بنشرها دار الأديب للطباعة والنشر فى دمشق. وخبت الفرحة أكثر عند علمنا أن الأستاذ عزيز ضياء فى المملكة العربية السعودية كان يقوم بنفس الجهد ولديه نفس شعور رمسيس عوض فقدم ترجمة لتلك الرواية تحت عنوان " العالم عام ألف وتسعمائه وأربع وثمانين " وظهرت مع بداية عام ١٩٨٤ للميلاد. وقد قدم لها باستفاضة بالغة وقيمة قاربت الأربعين صفحة من القطع الكبير، ويقول: " وبعد ، فها هى القصة تنشرها شركة تهامة، مترجمة إلى اللغة العربية، ولأول مرة فى العالم العربى، وفى مطلع عام (ألف وتسعمائة وأربعة وثمانون)، وتتداولها أيدى القراء فى هذا العالم الذى عاش الأعوام الثلاثة الأخيرة، أخطر تطورات قضيته الكبرى التى أسميها قضية حرب الثلاثين عاما. . . " (ص ٣٢). وتضيع البقية الباقية من الفرحة حينما نعلم أن عبد الكريم ناصيف قام بترجمة رابعة للقصة نفسها عام ١٩٨٦ وتقوم بنشرها دار نوبل فى دمشق. تخيلت بعد هذا أننا نعيش فى عوالم معزول بعضها عن البعض الآخر، وأن وسائل الاتصال التى نتحدث عنها قد انعدمت تماما حتى فى هذه الموضوعات التى تتداولها المجلات والصحف السيارة. لذا فإن وجود رابطة للمترجمين العرب ليس رفاهية وليس ترفا، لكنه ضرورة ملحة لتنظيم الجهد والوقت وتقديم كل ما يفيد القارئ العربى ويثرى ثقافته.

٢ـ عدم وجود وسائل اتصال بين المترجمين والجهات القائمة على الترجمة. فبالرغم من وجود أجهزة الاتصال الحديثة من تليفون وتلكس وفاكس وقبلهم أجهزة التيكر والتليبرنتر، إلا أننا نجد مترجمى المشرق فى واد ومترجمى المغرب فى واد ثان، ومترجمى الشام فى واد ثالث. ولا أظن أنه يمكن الاستفادة من هذه الوسائل الاتصالية إلا بوجود هيئة تنظم تلك الصلات والروابط، فعلى مستوى الأفراد لابد أن تكون هناك رابطة فى كل دولة عربية تتولى تمثيل هؤلاء الأفراد، أما

على مستوى الهيئات القائمة على الترجمة فإن عليها أن تقوم بالاتصال ببعضها البعض من وقت لآخر. أننا فى عالم يبدو ـ مع وسائل الاتصالات الفضائية ـ كأنه قرية صغيرة، فلماذا لا نستفيد من تلك الوسائل زهيدة التكاليف؟

٣ـ أنه مع وجود هيئات للترجمة فى كل دولة عربية، إلا أن تلك الهيئات تصطبغ بالصبغة السياسية البحتة، وكذلك الإقليمية المتغطرسة. وذلك أخطر ما فى الأمر، وهو يقضى على كل أمل باق فى حل تلك المشكلة. فإذا كان جل ما نتمناه أن تقوم فى كل بلد عربى هيئة للترجمة والمترجمين. فإن قمة اليأس تأتى عندما تكون تلك الهيئة تبعا لسياسة البلد الذى توجد فيه. ولا يسعنا إلا أن ندعو دوما إلى نبذ القوميات عند تناول موضوعات الثقافة والفكر على عمومها.

٤ـ عدم وجود بيبليوجرافيا للأعمال المترجمة إلى العربية تغطى الأعمال الموجودة فى العالم العربى. ورغم أن مراكز جمع المعلومات كمركز الميكروفيلم فى الأهرام بالقاهرة يقدم عرضا مطبوعا ومنشورا بين الحين والآخر إلا أن الأعمال المترجمة المنوه عنها تبقى حبيسة الإقليمية، ورغم أن دارًا تونسيه قد أصدرت دليلا للمترجم وهيئات الترجمة فى العالم العربى، إلا أن تصفح ذلك الدليل يدلنا أن المعلومات التى فيه ليست حديثة كما أن عدداً من المترجمين المذكورين فى الدليل لاقوا ربهم منذ سنوات، ويتبين أن تلك المعلومات أخذ معظمها من صفحات الكتب، وهذا أمر طيب، ولكننا نريد معلومات من خلال اتصال مباشر بالقائمين على الترجمة.

٥ـ وفى هذا الصدد، فإن جامعة الملك سعود بما أتيح لها من إمكانات عظيمة كما هي فى معهد اللغات والترجمة تستطيع القيام فى الوقت الراهن على الأقل بعمل تلك البيليبيوجرافيا ـ فلدى المعهد عدد من الأساتذة المتخصصين فى الترجمة تدريساً وتاريخاً وعلما ويستطيع كل منهم أن يدلى بدلوه حسب تخصصه. والمعهد يضم أقسام اللغات الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والألمانية والروسية والتركية والعبرية والفارسية وفى المستقبل هناك خطة لافتتاح أقسام للايطالية وما تدعو حاجة المملكة له من لغات أخرى. وفى هذا العام افتتح قسم اللغة اليابانية. ويستطيع المعهد بإمكاناته المتاحة وفى وجود عميد شاب كالدكتور

عبد الله الحميدان أن يضع ببليوجرافيا متوسطة الحجم تعتمد على جمع المعلومات البيبليوجرافية الموجودة فى المكتبات ومراكز البحوث ذات التقنية الحديثة مثل مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ومكتبة جامعة الملك سعود، على أن يتم تطوير تلك البيبليوجرافيا سنويا وذلك بإضافة ما يطرأ من مستجدات فى حقل الأعمال المترجمة. وأقترح أن تقسم تلك البيبليوجرافيا على النحو التالى:

أ ـ قسم للهيئات القائمة على الترجمة فى العالم العربى ويشتمل على الهيكل التنظيمى لتلك الهيئات مع أسماء القائمين عليها وعناوينهم وكذلك أرقام الهاتف والفاكس إن وجدت. ثم كشاف ببليوجرافى بالأعمال التى تم ترجمتها والتى تنوى تلك الهيئات ترجمتها مستقبلا.

ب ـ قسم للأفراد المشتغلين بالترجمة، وهذا ـ فى نظرى ـ أهم من القسم السابق. ويشتمل على اسم المترجم وعنوانه وأرقام الهاتف والفاكس إن وجدت. ويتم محاولة إيجاد حقول متخصصة لكل مترجم، فمثلا يمكن تخصيص حقلين رئيسيين للترجمة هما العلمية والأدبية، وعنهما تتفرع تخصصات أخرى مثل الترجمة الطبية وترجمة العلوم البحتة (الفيزياء ـ الكيمياء ـ الأحياء ـ الرياضيات ـ الفلك ـ الهندسة ـ النبات) وترجمة العلوم الإدارية والاقتصاد والحاسب الآلى، وقد يتفرع عن الترجمة الأدبية حقول مثل ترجمة التاريخ والفلسفة واللغة والأدب بتخصصاته المتعددة فى الشعر والنثر والأسطورة، وكذا علوم اللغة المختلفة.

إن تلك البيبليوجرافيا ستعتمد على جهود أفراد يعملون فى نطاق فريق واحد تحت منظومة واحدة، ويتم فى النهاية تبادل تلك البيبليوجرافيا مع كل الهيئات العربية المشتغلة والمهتمة بالترجمة على أن يطلب إلى تلك الهيئات موافاة معهد اللغات والترجمة بما يمكن إضافته إلى تلك البيبليوجرافيا، حتى يتم تحديث الطبعات التالية من ذلك العمل الذى أعتقد أنه بداية البداية فى تنظيم عملية الترجمة إلى العربية. ومن ناحية الكلفة الاقتصادية فإنها لا تحتاج إلى ميزانية خاصة كتلك التى نسمع عنها فى المشاريع الطموحة، فهى لن تتعدى تكلفة طبع كتاب، تكتب أصوله على الآلة الكاتبة فقط.

٦ـ تظهر تعددية النص المترجم إلى العربية فى النصوص الأدبية فقط ولا تظهر فى النصوص العلمية، حتى ليبدو وكأن الترجمة إلى العربية مقصورة على الأدب فقط. وهذا تحجيم لدور الترجمة. لذا وجدنا أن عددا كبيرا من أساتذة العلوم يقومون بترجمة الأعمال العلمية التى يقومون بتدريسها بلغات أجنبية إلى العربية، وكذلك تلك التى تستخدم كمراجع بحثية لطلاب الدراسات العليا. ونحن لا نعيب هذا المنحى على هؤلاء الأساتذة، ولكننا نخلص من موقفهم ذلك إلى عدم موثوقية ما يمكن أن يقدمه مترجم النص الأدبى، وكأننا أمام فريقين: فريق الأدباء وفريق العلماء، وهذا خطر كبير. فنحن لا نستطيع أن نبنى ثقافة أمة وفكرها مع وجود هذا الشقاق البين بين العالم والأديب.

وتستطيع الجامعات العربية ـ حلاً لهذا الإشكال ـ أن تقوم بترشيح عدد من الأعمال فى الأصول الأجنبية للترجمة إلى العربية وأن تعطى تواريخ محددة يتوقع فيها ترجمة تلك الأعمال، وعند ظهورها تلزم طلابها أن يتخذوها كتبا دراسية أو مرجعية. إن ترجمة العالم العربى للأصول الأجنبية تظهر فيها جفوته للعربية وهذا ما يكرهه الأديب، وترجمة الأديب للنص العلمى تظهر فيها شاعرية اللغة العربية وهذا ما يكرهه العالم. ولذا وجب وجود قناة يتم من خلالها الاتصال وتبادل الرأى حول كل مصطلح علمى وما يمكن أن يقابله فى العربية. ولكن أن نظل نستخدم ألفاظاً إنجليزية أو فرنسية أو ألمانية كما هى عقوداً من الزمن قائلين بأن العربية لا يوجد فيها هذا المعادل فهذا القول غير واقعى وينم عن عجز فينا وليس فى لغتنا.

مما سبق يتضح أن تعددية النص المترجم قضية قائمة وهى لابد أن تواجه كل المشتغلين بالترجمة. إنها ليست مشكلة خطيرة تصل إلى حد إعاقة الترجمة ذاتها، وكذلك هى ليست هينة إلى حد تجاهلها. لذا وجب أن نتوقف أمامها وندرس بعض الأسباب التى رأيت أنها مسئولة عن وجودها واقترحت بعض الحلول المتواضعة لحلها. وأسباب المشكلة وحلولها لا تنحصر فيما قلت فقط وإنما هى محاولة لعلاجها وقد يكون للآخرين تعليق وتعقيب، فمن الرأى الآخر نستفيد ومن النقاش نتعلم.

غياب المفهوم التاريخى فى النصوص المترجمة إلى العربية

أجد من الضرورى فى المقدمة أن أسأل سؤالين.

الأول :ماذا يتبادر إلى ذهن العربى لو ذكر اسم "الحجاج" مفرداً دون إضافة نسبة وفخده ؟ بالطبع تستدعى صورة ذلك الرجل فى العمامة وهو يعتلى المنبر فى الكوفة يقف خطيبا يهدد ويتوعد من قذفه بالحصا، وتستمر الذكرى إلى أن تصل مداها بصورة السيف الذى أعمله الحجاج فى أهل العراق والرؤوس التى أينعت وحان قطافها، وتستدعى الذاكرة صفات القسوة والشدة جميعا التى اتصف بها الحجاج بن يوسف الثقفى ذلك القائد الذى لا ينساه التاريخ العربى لتفرده ولنوادره.

الثانى ماذا يتبادر إلي ذهن العربي عند سماع أى من الأسماء التالية: السيدة هيبينز، الحاكم بيلنجهام، أو جون ولسون؟[1] وهى من الأسماء التى وردت فى "الشارة القرمزية" (١٨٥٠) مترجمة إلى اللغة العربية؟

أظن أن الإجابة فى هذه الحالة ستكون لاشيء،فتلك أسماء غير عربية لشخوص غير عرب، وسيكون لتلك الأسماء معنى معين لدى دارس الأدب الأمريكى ولدى المتخصصين فى تلك الفترة التى تدور فيها أحداث " الشارة القرمزية" وهى ١٦٤٠ كما يدعى ناثنيال هورثورن (١٨٠٤ـ ١٨٦٤) على لسان الراوى فى تلك الرواية التى يضعها هارى ليفين على رأس قائمة الأعمال الكلاسيكية فى الأدبُ الأمريكى[2]. وبالطبع لن يخلو الرد من إشارات تاريخية متعمقة موضحة كل اسم ودلالته ولماذا أورد على هذا النحو.

الأعمال الأدبية لا تخلو من الإشارات التاريخية من وقت لآخر، وتلك الإشارات جزء من ثقافة وحضارة اللغة التى تكتب بها تلك الأعمال ومن ثم لا يصعب على أهلها المتكلمين بها فهمها والنفاذ إلى مغزى إيرادها هنا أوهناك. وعليه يكون ذكر "الحجاج" فى أى مطبوعة عربية مفهوماً، أما ذكر السيدة هيبينز والحاكم بيلنجهام وجون ولسون فلا يعنى للقارئ العربى شيئاً يذكر. وهناك من يكابر بالقول إن دارس الأدب الأجنبى عليه أن يلم بالتاريخ والثقافة والفكر للفترة التى كتب فيها العمل موضوع الدراسة، وأظن أن هذا مطلب طموح.

لذا كانت الأعـمال المترجمـة إلى اللغة العربيـة خالية من المفهـوم التاريخى الموجود فى النصوص الأصليـة للأعمال المنقول عنها. ولقـد لمست هذا فى ترجمة "الشارة القـرمزية" للأسـتاذة جاذبيـة صدقى، فخـرجت الترجـمة - رغم دقتـها وموثوقيتها - غير مكتملة الأبعاد، لأن التاريخ فى تلك القصة جزء أساسى لفهمها فى الإنجليزية التى كتبت بها، فما بالنا فى العربية التى ترجمت إليها.

قامت الأستاذة جاذبية صدقى بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بالقاهرة ونيويورك بتـرجمة The Scarlet Letter تحت عنوان "الشـارة القرمـزية" وذلك فى عـام ١٩٥٨. ومعلوم أن هوثورن كـتب تلك القـصة بعـد تسع سنوات قضاها فى جمرك مـدينة سيلم. والقصة التى تقع فى مائتين واثنين وسـتين صفحة من القطع المتوسط تنقسم إلى جزءين : مقدمـة عن جمرك سيلم فى سبع وأربعين صفحة، والقصة وهى فى مائتين وخمس عشرة صفحة. وقد كتب معظمـها فى عام ١٨٤٩ وأكملها فى فبراير ١٨٥٠ وظهـرت للقراء فى مارس من نفس العام. ولقد وفقت المترجمـة فى العنوان أيما توفيق "فلو أنها ترجمت العنوان حـرفيا لقالت، الحرف القرمزى، وخـسرت بذلك وهج الصورة وقدرتها على التوصل فـاجتهدت فى الترجمة وأحسنت"[٣] ولو أن جاذبيـة صدقى وقعت فى خطأ ترجـمة العنوان لكان "الحرف القرمزى" أضحوكة.

إن هيسيتر برن[٤] تخون زوجهـا إبان غيابه وتحمل سفاحـا وتضع مولودتها ويحكم عليهـا رجال الكنيسـة عليها بأن تضع قطعـة من القماش القـرمزى تنسج عليها هيستر بيدها بخيط ذهبى دقيق الحـرف الأول مـن حـروف الأبجدية الإنجليزية وتضع القمـاشة القرمزية وعليـها ذلك الحرف على صدرها طيلـة حياتها البـاقية. وتلك - تعريفًا - شارة وليست حرفا. وهذا الحرف A هو بداية كلمتى Adulterets و Adulterer ومعناهمـا زانى أو زانية من المتزوجـين، وكأن المحكمة الكنسـية لم تكتف بقـرار الإدانة الذى أصدرته وسجلتـه، لكنها حكمت بتـقريع تلك الخـاطئة أينما ذهبت بتلك الشارة القرمزية.

فى النص الإنجليـزى، طبعـة Riverside إحدى وسـبعون هامشـا، أدخلها الناشر هارى ليفين لأسماء أشخاص وأماكن وأحداث تاريخية فى المقدمة والقصة.

ويمكن للقـارئ فى النص الإنجليزى فـهم البعض منهـا لكن أكثـرها يحتـاج إلى توضيـحات فى الهوامش بدونها لا يكتـمل المعنى الذى قصد إليـه هوثورن، ولقد جاءت الترجـمة العربية خـالية من أى من تلك الهوامش، إلا هامشـاً واحداً فقط وهو حول مـا كان هوثورن ينوى نشره مع هذه القـصة ثم اثنى عنه [٥]. وهذا ما أفقد النص المترجم الكثير من روعة النص الإنجليزى.

وأورد هنا أربعة أمثلة فقط لتوضيح ،وجهة نظرى:

١ـ نقرأ فى النص الإنجليزى :

"...With a description of my way of Life in the deep quietude of an Old Manse House".

وترجمت إلى العـربية على النحو التالى: "بوصف أسلوب حـياتى فى بيت قديم هادى" [٧]. وفى الهـامش يقـول هارى ليفـين فى النص الإنجليـزى أن هذه الفقرة إشارة إلى كتاب هوثورن Mosses from an Old Manse Hosue (1846)

حيث قـدمه بقولـه "إن المؤلف يجعل القارئ ملمـاً بمكان إقامـته". إذن فلفظة "بيت قديـم هادى" التى فى الترجـمة لم تعطنا هذه الإشـارة التاريخـية إلى Old Manse House وهو منزل جد رالف وولدو إميرسون (١٨٠٣ ـ ١٨٨٢) الذى أقام فيه هوثورن والذى كـتب فيه إميرسـون رائعته Nature "الطبيعة" فى عام ١٨٣٦. كما كان له أثر عظيم فى كتابة هوثورن لرائعته "أعشاب من البيت القديم".

٢ـ فى نفس الصفحة نقرأ:

"The example of famous P.P Clerk of Parish"more fatithfully Followed"

وترجمـتها فى النـص العربى : «وسوف أقلد كـمثل أعلى، القطعـة ذائعة الصيت" ب.ب كـاتب الإبربشية ـ يوضح لنا الناشـر في هامشه أن يومـيات هذه الشخصيـة الخيالية ـ ب.ب. كاتب الإبرشيـه ـ كانت فى المحيط الأدبى لألسكندر بوب (١٦٨٨ـ ١٧٤٤) وكانت تلك اليوميات تقليدا ساخراً لعادة الخروج عن النص إلى كتابة السـيرة الذاتية والتى ظهرت فى كتـاب جلبرت بيرنيت History of His Own Time إذن لم يعطنا النص العـربى أى إشارة ممكنة إلى هذا الزخم الـتاريخى

والثقافى الذى تعطيه الفقرة الإنجليزية. وأهم من ذلك ما نفهمه من أن هورثورن ينوى الدخول إلى السيرة الذاتية وأن أمامه عمل بيرنيت كمثال.

٣ـ فى النص الإنجليزى نقرأ:

"The Figure of that first ancestor, invested by family tradition with a dim and dusky grandeur to my boyish imagination"(٩)

وهى فى النص العربى: "فشبح ذلك الجد الأول الذى أضفت عليه تقاليد الأسرة عظمة قاتمة كان يشاغل خيال صباى منذ بدأت أعى" (١٠) هذا الجد الأول كما فى الهامش الإنجليزى ـ وليام هوثورن ـ رائد فى ميليشيا بلدة سيلم، وكان متحدثا باسم نواب ماساتشوستس، وقد هاجر من إنجلترا إلى أمريكا فى عام ١٦٣٠م. وأضيف، أنه كان من القضاة البيوريتانين الذين حاكموا ساحرات سيلم، فى سلسلة المحاكمات المشهورة، ومن النقاد من يقول أن هوثورن كتب "الشارة القرمزية" ليعتذر عن فعلة جده فى حق هؤلاء الساحرات وإن كنت شخصيًا لا أميل إلى تأييد هذا الرأى. على أية حال الترجمة العربية باغفالها لهذا الهامش، أو أى معالجة أخرى له، لم تعطنا البعد التاريخى ـ للجد الأول وشبحه ـ الذى نتلمسه بسهولة فى النص الإنجليزى.

٤ـ فى النص الإنجليزى:

"...,-Or whether, as there is fair authority for believing, it had sprung up under the footesps of Sainted Ann Hutchinson as she entered the prison door, -we shall not take upon us to determine"

يقابلها فى النص العربى: "... "(١١)أو تصدق الوثائق والمستندات التى تؤكد أنها ازدهرت تحت أقدام القديسة، آن هتشنسون، وهى تخطو داخل السجن"(١٢). آن هتشنسون (١٩٥١ ـ ١٦٤٣) زعيمة دينية نفيت لآرائها المنشقة على الكنيسة إلى رود آيلاند وهناك قتلها الهنود. كأننا بهوثورن يريد أن يقول أن هيستر برن أيضا قديسة، وهو يرفعها إلى درجة آن هتشنسون واستبدل الهنود الحمر برجال المحكمة الذين نراهم فى الفصل الثالث.

إضافة إلى الأمثلة الأربعة السابقة، فإن اختيار الأسماء فى "الشارة القرمزية" لم يكن خبط عشواء. إنما اختار هوثورن كل اسم وماله من مدلولات تاريخية معينة فى المجتمع الأمريكى وغير فيه بعض الشىء ليخدم هدفه الفنى فى القصة. ونتوقف أمام ستة أسماء أوردها هوثورن.

١ ـ هيستر برن. يقول التاريخ أن شخصا يدعى وليام برن (١٦٠٠ ـ ١٦٦٩) كان من أوائل التطهيريين الذين قدموا إلى أمريكا وكان معروفا بأنه كاتب وناشر. وقد يكون لهوثورن هدف وراء الاسم، فنحن نعلم ـ من القصة ـ أن هيستر برن متزوجة من العالم الطبيب روجر تشلنجورث ولكنها لا تحمل اسمه فتكون هيستر تشلنجورث، وهى تحمل بدلا من ذلك اسم عائلة برن. ولا أظن أن هوثورن فعل ذلك خطأ . ربما قصد القول أن واحدا من هؤلاء التطهيرين هو أبوها لأنها تحمل اسمه، كما أن واحدا منهم هو سبب بلوتها ومحنتها وهذا ما يتبين من سرد أحداث القصة فيما بعد حيث نعرف أن السيد آرثرديمزديل هو شريكها فى جريمة الزنا التى تمخض عنها ميلاد بيرل وكل المصائب التى حلت فى حياة هيستر برن بعد ذلك.

٢ ـ السيدة هيبنز. يقول هارى ليفين فى هامشه أن السيدة هيبنز هى أرملة وليام هيبنز وهو تاجر من بوسطن. وقد أعدمت تلك السيدة فى التاسع عشر من يونيو عام ١٦٥٦ لممارستها السحر [١٣]. والسيدة هيبنز فى "الشارة القرمزية" هى شقيقة الحاكم بيلنجهام رئيس محكمة هيستر وهى تعمل فى السحر وتحبه وقد أعدمت فيما بعد كساحرة. وكأن هوثورن يقول إن من يحاكمون الناس على خطاياهم ينسون أن بيوتهم تزخر بخطايا أخرى مماثلة.

٣ ـ الحاكم بيلنجهام. يقول هارى ليفين فى أحد هوامشه: " ريتشارد بيلنجهام (١٥٩٢ ـ ١٦٧٢) هو حاكم مستعمرة الخليج فى الأعوام ١٦٤١، ١٦٥٤ وفى المدة من ١٦٦٥ إلى ١٦٧٢. وهذه التواريخ لا تناسب أياً من السنوات فى الجدول الزمنى الذى يستخدمه هوثورن "[١٤]. إن هوثورن يحدد زمن روايته فى عام ١٦٤٠ وهى السنة التى حوكمت فيها هيستر برن، فكأننا به وقد أخطأ فى تحديد الزمن كما يقول ليفين. أى أن هوثورن كان على وعى تام أنه يختار أسماء شخوصه بعناية فائقة وحرص شديد إلا أن حرصه هذه المرة لم يصب فأخطأ فى درس التاريخ.

٤ ـ جون ويلسون. هو أحد أعضاء هيئة محاكمة هيستر برن ويقول ليفين أن " جون ويلسون واحد من قادة البيورتيانين وعاش فى الفترة من ١٥٩١ إلى ١٦٦٧ "[١٥] والهامش بما فيه يكفى.

٥ ـ الحاكم وينثروب. يقول هارى ليفين: " جون وينثروب (١٥٨٨ ـ ١٦٤٩) هو أول حاكم لمستعمرة الخليج فى ماساتشوستس "[١٦] ولا أظن أن هذه الأسماء التاريخية جاءت بالمصادفة البحتة فى ذهن هوثورن عند كتابة قصته. إنه يريد شهودا من التاريخ كما يريد بشكل أو بآخر أن يقاضى هؤلاء الشهود ويحاكمهم وهو فى حالات معينة يجلدهم كما فعل فى هيبنز وبلنجهام وديمزديل.

٦ ـ فى الصفحة ١٢٦ من النص الإنجليزى، يذكر هوثورن اسم سيرتوماس أوفر برى وهو كاتب من عصر اليعاقبه [١٧] حكم عليه بالموت بالسم لشهادته فى قضية طلاق فاضحة، ويشير إلى أسم دكتور فورمان، وهو كما يورده هارى ليفين فى الهامش " دكتور سيمون فورمان (١٥٥٢ ـ ١٦١١) عالم فلك، وكيميائى، وهو من الكويكرز حيث تبين أن لمراسلاته دليل دامغ فى المحكمة التى انتهت بإعدام أفوربرى عام ١٦١٥ "[١٨].

إن هوثورن يقصد إلى عقد مقارنة بين حالة دكتور فورمان والسيد أوفربرى من ناحية، وحالة ديمزديل وتشلنجورث من ناحية أخرى. فديمزديل يرتكب خطيئته مع هيستر برن ولا أحد يظن أو يشك بأى حال من الأحوال أنه هو شريكها فى تلك الفعلة. ومن المفارقات المضحكة أن هيئة المحكمة تنتدب السيد ديمزديل ليحقق معها وينتزع منها اعترافًا باسم شريكها فى جريمتها. وحين تلتقيه هستر تبلغه أنها لن تذيع سره وأنها ستبقى تتعذب وحدها ولن يعرف أحد بما وقع بينهما. لكن دكتور تشلنجورث الذى يعيش مع ديمزديل فى نفس المسكن يظل يثير قضية هيستر برن ومالها من جوانب ـ فهو زوج هيستر ولكن ديمزديل لا يعرف ذلك أيضا ـ حتى يجبره على الاعتراف بأنه ـ ديمزديل ـ شريك هيستر فى فعلتها. إن الجو النفسى الذى يضع فيه تشلنجورث ديمزديل يجبر الأخير على

الاعتـراف بعد تردد طويل مما يؤدى به إلى ارتقاء المقـصلة معلنًا أنه شريك هيسـتر برن. وبدلا من شارة قـرمزية صنعت من القمـاش والخيوط الذهبيـة، كتلك التى ترتديها هيستـر، نرى قطعة من صدره وقد التهبت واحـمرت كالنار ونقش الحرف A والذى يعنى فى حالته "زانى" كما يعنى فى حالة هيستر "زانية".

إلى جانب تلـك الأمثلة التى نرى من خـلالها غيـاب المفهوم الـتاريخى فى الترجمـة العربية فى حين أنه يوجـد ماثلا فى النص الإنجليزى، أسوق مـثالا لعله يفوق سابقيه فى هذا الخصوص. فى النص الإنجليزى نجد الفقرة التالية:

" It was time, at length , that I should other axercise other Faculties of my nature and nourish myself with For which I had apetite. Even Old inspector was desirable, as a change, as a change of diet to a man who ha Known Alcott"(١٩)

وهى مترجمـة إلى العربية على النحو التالى: " حـان الوقت أخيرًا لأمارس مواهبى الطبيعية الأخرى، ولأغـذى نفسى بطعام لم أكن أميل إليه من قبل. حتى المفتش الهـرم، فى حال كحالتى، كان مـرغوبا فيه كـتغيير فـى طعام رجل عرف الكوت(٢٠) النص الإنجليـزي يتـحـدث عن مـرافقـة هورثورن لأقطاب مـدرسـة الترانسندنتـالية (التعالى) والـعمل معهم فى مـزرعة بروك، وهى مزرعة أقـاموها لتكون مثالاً يحتـذى للعالم العامل، وخسر فـيـها هوثورن ألف دولار أمريكى بعد أن عمل فـيها عـاما ونصف العام إضـافة إلى ذلك فقـد تعرف على رالف وولدو إميرسون. الذى ظهر اسمه فى التـرجمة العربية تحت اسم "إمبرش" (٢١). وأظن ذلك خطأ مطبعى. وتعرف أيضا على إليرى تشاننج (١٨١٨ - ١٩٠١) والذى ظهر فى الترجمـة العربية تحت اسم "إيمـيرى شاننج" (٢٢) وأقول ثانيـة أن ذلك خطأ مطبعى. إذن لم يكن مـا ذهب إليه هوثورن هو تغيير نوع طعـام البطن الذى تعود عليه فـترة طويلة. إنما هو تغـيير طعـام العقل وتغـيير لصـحبتـه من أقطاب تلك المدرسة. إن تجربة هوثورن الفاشلة فى مزرعة بروك دفعتـه إلى أن يهز كتفيه لجميع مدارس التفكير الطوباوى(٢٣)، وأخذ ينهج منهجه الخـاص فى تقديم صورة فاضلة لعـالم يخلو من الرذيلة والإثم. يقـول هارى ليفـين معلقـا على هذه الفقـرة من

المقدمة: "بعد صحبة برونسون الكوت والترانسدنتالية فى أوج مراحلها غير العملية، رحب هورثورن بتغيير توجهاته (as a change of diet)[٢٤] وصحيح أن الكلمة الإنجليزية تعنى طعام أو أكل لكن أحد معانيها الأخرى كما فى وبستر هو تجمع رسمى لأمراء أو مسئولين وأظن هذا ما قصده هوثورن. حتى وإن بقيت الكلمة diet تعنى الأكل والطعام فهى تعنى اصطلاحًا أيضا تغيير نمط معين من الأنماط، لا تغيير نوع الطعام كما هى فى الترجمة الحرفية للمصطلح. وهذه تدخلنا فى قضية أخرى من قضايا الترجمة ألا وهى ترجمة المصطلح وهذا ليس مكانها.

وبعد، فإن غياب المفهوم التاريخى فى النصوص المترجمة إلى اللغة العربية مشكلة لا تعوق عملية الترجمة ذاتها، لكنها تعوق فهم النص عند قراءته، أى أنها مشكلة من مشاكل المتلقى. ونحن ننشد الكمال عندما نريد حلها أو تصور حلول لها، ذلك أننا نريد أن نصل بالنص بالعربى إلى روعة وحيوية النص الإنجليزى كما فى المثال الذى معنا فى هذه الدراسة وهو من "الشارة القرمزية"، ومن الحلول التى أرى أنها قد تساعد فى حل هذه المشكلة ما يلى:

١ ـ كان على المترجمة ـ فى حالة "الشارة القرمزية" ـ إيراد شروح فى الهوامش لجميع الأسماء التى استخدمها هوثورن. وصحيح أن طبعة هارى ليفين ظهرت فى سنة ١٩٦٠ أى بعد ترجمة جاذبية صدقى بسنتين لكن ـ كان ـ على المترجمة أن تعنى بالمفهوم التاريخى للقصة ككل وللأحداث والأسماء على حدة.

٢ ـ نحن نعلم أن الهوامش غير مقبولة فى الأعمال الإبداعية كالقصة والمسرحية والقصيدة لكننا لسنا أمام عمل عادى. ومن ثم فإن الهامش يكون خيارا لمن يريد أن يقرأه من القراء، فهناك من يكتفى بقراءة النص ولا يعنيه ما فى الهامش، وهناك القارئ الذى يريد أن يلم بالصغيرة والكبيرة فى النص وما حوله فيقرأ الهامش.

٣ ـ كان على المترجمة، كبديل للهوامش، أن تبدأ ترجمتها بمقدمة تفصيلية تشرح فيها الجو التاريخى للقصة ومن خلاله تقدم للأسماء التى استخدمها هوثورن ومدلول ربط هذه الأسماء بأسماء تاريخية حقيقية كما رأينا فى هوامش هارى ليفين والتى علقنا على بعضها فى دراستنا هذه.

٤ ـ كبديل آخر للهامش كان باستطاعة المترجمة أن تورد قوسين عقب تقديم كل اسم لأول مرة تشرح فيه بعبارة، أو عدد من الكلمات، مدلول ذلك الاسم فى التاريخ الأمريكى فى تلك الفقرة.

هوامش :

(١) ناثنيال هوثورن، "الشارة القرمزية"، ترجمة جاذبية صدقي (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨)، ص ٥٠، ٦٦ ـ ٦٧.

(٢) Nathaniel Hawthorne, *The Scarlet Letter,* ed. Harrey Levin (Boston : Houghton Mifflir Company, 1969), P. 1.

(٣) د. نذير العظمة، "هوثورن، الشارة القرمزية" في "بناة الأجيال" (دمشق : العدد الرابع، اكتوبر ١٩٩٢)، ص ٨٧.

(٤) المترجمة تقدم هذا الاسم إلي القارئ العربي علي نحو آخر هو "هيستر براين" لأنه يكتب في الإنجليزية Prynne (ص ٧ من الترجمة العربية وما يليها) في جميع المواضع التي يرد فيها اسم هسيتر كاملا.

(٥) "الشارة القرمزية"، مترجمة، ص ٦٨.

(٦) *The Scarlet Letter,* p. 1.

(٧) "الشارة القرمزية"، ص ١.

(٨) وترجمته "أعشاب من البيت القديم".

(٩) *The Scarlet Letter,* p. 111.

(١٠) "الشارة القرمزية"، ص ٢٤.

(١١) *The Scarlet Letter,* p. 50.

(١٢) "الشارة القرمزية"، ص ٧٢.

(١٣) *The Scarlet Letter.,* P. 51.

(١٤) *Ibid.,* P. 65

(١٥) *Ibid* p. 66

(١٦) *Ibid.,* p. 149.

(١٧) عصر اليعاقبة يشير إلي الفترة التي حكم فيها جيمس الأول إنجلترا وهي من ١٦٠٣ إلي ١٦٢٥. ويسمي بها أدب تلك الفترة وخصوصاً المسرح.

ويسمي بـها الأثاث والعمـارة في تلك الفتـرة. وأصل التسـمية يأتي من الـكلمة جاكوباس في اللاتينية وهي تـعني جيمس وشهدت هذه الفترة نهـاية تفتح العصر الإليزابيثي علي الرغم من أن ادب السحرية والواقعية بدأ يزدهر. وشهد هذا العصر ولادة أهم أعمال شكسبـير. كما كان جون ضن وبن جونـسون وفرانسيس بيكون في ذروة قدراتهم الإبداعية. وقد ظهر الملك جيمس في عام ١٦١١م.

Harry shaw, Dictionary of literary Terms (New York : Mcgraw Hill Book Company, 1972), pp. 210 - 211.

(١٨) Op. Cit., 126

(١٩) Ibid., P. 28.

(٢٠) "الشارة القرمزية"، ص ٤٥.

(٢١) السابق، ص ٤٤.

(٢٢) السابق، ص ٤٥.

(٢٣) Walter Blaiar, et. al. The literature of the United States - (Chicago : Scott, Foresman and Company, 1957), PP. 350 ` 351.

تعريب العلوم .. وقضية الدولة

يعالج سعادة الدكتور الشاذلى القليبى فى مقالة الرائع "تعريب العلوم. وقضية التنمية" "الأهرام عدد ٣٩٢٢٣، بتاريخ ٢٧/ ٤/ ١٩٩٤" أسباب الإعراض عن تعريب العلوم واكتفاء علمائنا العرب باستخدام اللغات الأجنبية التى درسوا بها علومهم، ورغم أن الدكتور القليبى شخص تشخيصا علميا هذه الحالة إلا أن نتائجه كانت تقليدية، فقد عول على دور المؤسسات الحكومية، والمؤسسات التابعة لجامعة الدول العربية و المنبثقة عنها، وكذلك أهمية ألا نكتفى بالنقل عن العالم المتقدم بل نشارك فى الحركة العلمية العالمية .

حركة التعريب ليست حركة عشوائية، إنها نتاج دولة قوية. إن نقل العلوم إلى لغة ما ترتبط ارتباطًا وثيقًا بحال الدولة : اقتصاديا، وسياسيًا، واجتماعيًا، فحين نقل الفرنسيون العلوم إلى لغتهم كانت دولتهم قوية، وحين نقلها الألمان كانت دولتهم قوية، وحين دخل الأمريكيون المعترك العالمى بعد قيام دولتهم كان كل شىء بلغتهم التى أسموها :"اللغة الأمريكية " حتى أنهم نفوا أن تكون لغة التاج البريطانى هى لغتهم. وحال الدولة العربية حال بقية الدول، فحين كانت الدولة العربية قوية اقتصاديا، ومتماسكة جغرافيا، ومتلاحمة اجتماعيا كانت هناك حركة ترجمة وتعريب فرضتها حالة الدولة ولم تفرضها المراسيم.

إن الترجمة إلى العربية ظاهرة واكبت قوة الدولة العربية الإسلامية. فبيت الحكمة ودار الحكمة ومدرسة الألسن وحركة الترجمة فى مصر فى الستينات أربعة أمثلة تفسر ما نذهب إليه من أن حركة الترجمة والتعريب لا تملى من أعلى، إنما هى نتاج حالة من حالات الدولة. فلو أنفق المأمون كل ما يملك فى دولته لما أنشأ بيت الحكمة التى حول المغول كتبه إلى جسر عبروا عليه نهر دجلة لولا وجود المترجمين الذين أوجدتهم الثقافة المزدهرة فى تلك الدولة. فهؤلاء المترجمون لم يتخرجوا من "بيت الحكمة" لكنهم هم الذين انشئوه وهذا يعنى أن المترجمين وجدوا قبل أن يأمر المأمون بإنشاء بيت الحكمة بعشرات السنين. لكن بيت الحكمة انتظمهم وأضفى على عملهم صفة الأكاديمية. ودار الحكمة القاهرية التى أنشأها الفاطميون فى مصر فى عهد المعتز بالله عام ٩٧٥ م كانت هى الأخرى مثالا ثانيا لقوة الدولة التى احتضنت العلماء والمترجمين والمؤلفين.

ومدرسة الألسن مثـال أكثر وضوحا على قوة الدولة وأثر ذلـك فى الترجمة إلى العربيـة. فالتاريخ يقول إن مـحمد على باشـا اختار الشيخ رفـاعة الطهطاوى ليكون إمام البـعثة العسكرية المصـرية إلى فرنسا. إلا أن ذلك الشيخ، إضـافة إلى عمله الجليل الذى قام به مع أعـضاء البعثة، عاد إلـينا بكتابه "تلخيص الإبريز فى زيارة باريز" ونحن نعلم ما أحدثه هذا الكتاب من جدل وما أضفى على حياتنا من زخم وما أسدى مـن تنوير ووصل بالغرب. وانتهى الأمر أن ينشئ الشـيخ المعمم مدرسة الألسن التـى احتضنت مرة أخرى المتـرجمين فى مصـر والعالم الإسلامى وأخرجت الكتب المترجـمة إلى العربية دون أن يكون للدولة دخل كبـير فى إعداد هؤلاء المترجمين ـ كـما نرى الآن ـ وهم الأساس فى كل حركة الترجـمة. إضافة إلى ذلك، حركة الترجمة الهائلة فى الستينات فى مصر، ولست فى حاجة أن أعيد ما قلت سـابقًا أن الاستـقرار السياسـى والاقتصادى والتـماسك الاجتـماعى هى العوامل التى أوجدت المتـرجمين الذين أثروا أنشطة الإدارة الثقافيـة بجامعة الدول العربية بتـرجمات شكسبيـر وغيرها مما يندر تكراره إلا إذا قويت مصـر مرة أخرى وعادت إلى تلك الحالة الحضارية التى كانت عليها.

إن الترجمات التى أسهمت فى أى من جوانب حـياتنا هى أعمال كلاسيكية بكل مضـمون تلك الكلمة. وإننى أجد نفـسى متفقـًا مع الناقد الإنجليزى الشـهير ت.إس. إليوت الذى يعـرف فى إحدى مقالاته "الكلاسـيكى" على أنه حالة من قوة الدولة ونبوغ الفرد وتأتى بعـد ذلـك الماديات، هذه الأمور الثلاثة إذا اجتمعت كانت هناك أعمال كلاسيكية. لذا يبقى مـا يذهب إليه الدكتور القليبى من التعويل على دور المنظمات الحكوميـة تعلقا بأمل بعيد المنال. فهو يقـول "وللتغلب على ما تشكوه كل دولة من دولنا من نقص فى الأموال أو نقص عدد العلماء والفنيين ـ أو أحيانا كلـيهما معـا ـ فإن الحل المتاح أمامنا هو أن نضم إمـكانياتنا جميـعا حسب مـخطط يوزع الأعمـال وينسق بينهـا. ومسـئوليـة التخطـيط لهذا العـمل العظيم والإشراف على تنفيذه، يجب أن تتفرغ لها المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، لأن هذا العمل هو المدخل الحقيقى إلى الارتقاء بمجـتمعاتنا إلى مصاف الأمم التى تمسك ببعض ناصـية مصيرها لأنهـا تعلم الكثير مما يعلمـه الآخرون، وتقدر على الكثير مما يقدرون عليه. وحبذا لو تفرغت لنفس الغـرض المنظمة الإسلامية للثقافة

والعلوم فتتضافر جهود الدول العربية والإسلامية فان ذلك سيزيد من سرعة الإنجاز بتوسيع الإمكانيات العلمية والمادية المعتمدة، وعندئذ تزداد أهمية ما ندعو اليوم إليه من اجتهاد فى تعـريب العلوم، لأن مجتماتنا لا تكون مقصورة علـى استهلاك ما أنتجه غيـرها من الأمم بل تكون قد انكبت على الإسهام الجدى فيـه بكل طاقاتها الفكرية والمادية". أمنية جميلة أشارك فيها سعادة الدكتور القليبى، وأتمنى أن تنتهى كما قال "وعندئذ تستعيد لغتنا ما كان لها من قوة وإشعاع وكفاية، ولما كانت سيدة لغات زمـانها فى أداء حصـيلة البحث العلمى والاجـتهاد الفلسـفى، وتسميـة ما يستنبطه أهلها من مرافق الحضارة. هذا هو التحدى الكبير الذى على شعوبنا الفوز به لتمـسك بزمام مصـيرها، وتدخل المحـافل الأممية وهى قادرة على الإسـهام فى جلائل الأعمال، لا فقط مدافعة عن حقـوقها المهضومة أو منددة بما تتعرض له من اعتـداءات على الأرواح، وعلى الأرض، وعلى الثـروات. وهو عمل يسـتحق أن تضحى دولنا فى سبيل تحقيقه بكل غال ونفيس وأن تضمن له الوسائل اللازمة من تفريغ ثلة من أكابر علمائنا، ورصد المبالـغ الكافية لإنجاح خططهم واتخاذ القوانين الملزمة لسـائر الجامعات ومـعاهد البحث للعـمل فى إطار تنسيق عام تشـرف عليه المنظمة".

أقول فى ذلك ما قال شوقى :

ظفر فى فم الأمانى حلو   ليت لنا منه قلامة ظفر.

ولكن ألا يرى سعادة الدكتور القليبى أن حديثه عن " رصد المبالغ الكافية " يتناقض مع قاله فى نفس المقال عن التـحديين اللذين تواجههما حـركة التنمية فى عالمنا العربى ؟ حيث يقول : " التحـدى الأول يتعلق بتوفير الإمكانيات المادية التى يحتاج إليـها البحث العلمى. وهى أثقل من أن تقدر عليهـا دولة أوربية من حجم ألمانيا أو فرنسا، فما بالنا بدولنا التى يحتـاج أغلبها إلى معونات خارجية. ويدخل فى هذا التحدى أيضا ضرورة تفرغ عدد كبـير من العلماء ورجال التقنيات المختلفة وهو كذلك مما تنوء به دول متـقدمة مثل التى ذكـرنا، فضلا عن أقطار لا تزال فى أول مسيرتها الإنمائية". إن قوة لدولة تعنى قوة اقتصادها وبالتالى تعنى قوة نفوذها السياسى. ونحن نعرف جميعًا أن اللغة الإنجليـزية هى أكثر اللغات استخدامًـا فى

العالم، ولكن الكل يعلم أن الإنجليزية الأمريكية هى الأكثر انتشاراً عند مقارنة انتشار اللهجات الإنجليزية، وذلك راجع أساسا إلى انتشار النفوذ السياسى والاقتصادى الأمريكيين، ولولاهما لما رأينا كلمات مثل "كافتيريا" و "وراديو" يتداولهما العامة والخاصة بجميع اللغات على مدار الساعة. إن ميزانية البحث العلمى فى بعض جامعاتنا تكاد تكون صفراً، كما أن بعض الميزانيات لا تتعدى مئات الجنيهات، فكيف نطلب من تلك الجامعات والمعاهد والهيئات الرسمية الأخرى أن تحقق ذلك المطلب الطموح الذى يصبو إليه كل عربى والذى عبر عنه سعادة الدكتور القليبى؟ لقد نشرت الصحف فى ٢٣ يناير ١٩٩٣ أن اليابانين اخترعوا جهاز تليفون يستطيع أن يترجم من اليابانية إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية حديث مستخدمى ذلك التليفون. وهذا الخبر إضافة إلى حقول الترجمة الآلية لا مثيل لها حتى الآن. ولكن هذه الإضافة أنفق فى عمل أبحاثها مائة وثمانية وعشرون مليون دولار أمريكى واستغرقت خمس سنوات من البحث الدءوب والتجريب المضنى. ولى سؤال: كم تخصص دولنا لمشاريع الترجمة التقليدية كترجمة الكتب والدوريات والمراجع الأخرى؟ وبالطبع نحن لا نسأل كم خصصنا للترجمة الآلية أو كم خصصنا لوسائل اتصال أو ترجمة كذلك التليفون اليابانى المترجم العجيب؟

إن حالة الدولة التى تكلمنا عنها لا تنعكس فى قوة الاقتصاد فقط، لكنها تنعكس أيضا فى حالة أبنائها النفسية. فالعالم الذى يلحن فى العربية ويتحجج بأنه درس فى الغرب لا يعكس حالته هو فقط إنما يعكس حالة أمة منهزمة. إنه يعكس حالة انكسار أمة بأكملها، إنه يعكس باختصار حالة نادرة من الدونية عن الغرب الذى تعلم فيه وعرف لغته. إن تمكن علمائنا من اللغات الأجنبية ولحنهم فى اللغة العربية حالة فصامية لا يستطيع النفسيون علاجها لأن ذلك العلاج يستدعى تغييرا جذريا شاملا للمحيط العربى ككل. وأخطر ما يأتى به هؤلاء العلماء شعور عام يسود بين مثقفينا أن العربية ليست لغة صالحة للعلوم، حيث يقول د. القليبى: "ولا نرى من يستسهل الاعتراف بجهله فى أى حال، إلا إذا تعلق هذا الجهل باللغة العربية، وقد نرى من يعلن قلة درايته بقواعد اللغة العربية فى مثل التبجح، فيأتى اللحن ويراطن مخاطبيه فى شىء من الخيلاء. والأنكى من كل ذلك أن

المجتمع العربى يبدو قابلا لهذه المعاذير، ضاربا صفحا عن المؤاخذة باللحن وأنواع الرطانات، كأن لسان حاله يقول: العربية أصعب من أن يضيع وقته فى تحصيلها من له مسئولية سامية يقوم بها، أو علم جليل ينكب عليه". ونجد أنفسنا فى موقف مؤسف نؤمن على ما ذهب إليه الدكتور القليبى رغم اعتقادنا أن العربية لا تقل قوة وزخما عن اللغات الأوربية المعروفة، لكننا نحن أبناءها الذين أسأنا استخدامها، فمنها أخذ الغرب قديما حين كان أسلافنا يجيدون استخدامها ويضيفون إليها. وإذا "كانت رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى النموذج الذى اقتبس منه دانتى فكتب رائعته الكوميديا الإلهية" [على شلق، رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى، شرح وتحقيق (بيروت : دار القلم، ١٩٧٥)، ص ١٦] فإن الفضل فى ذلك يعود إلى ما كانت عليه حالة الدولة العربية وحال اللغة العربية، والفضل للترجمة من العربية إلى الإيطالية" ذلك أنه تبين أخيرًا أن قصة المعراج كان لها ترجمة إيطالية، ووجدت نسخ من هذه الترجمة فى أكسفورد وباريس والفاتيكان، وأغلب الظن أن دانتى اطلع على هذه الترجمة فوجهت فكره" [د. إبراهيم زكى خورشيد، الترجمة ومشكلاتها (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥)، ص ٣٧].

الترجمة فى العالم العربى قامت على أكتاف أفراد لم ينتموا إلى أكاديميات معينة. وصحيح أن أكاديميات قد احتضنتهم فيما بعد، لكن بقى هؤلاء الأشخاص متميزين وكل منهم يمثل مدرسة بذاته. ولابد أن يعود ذلك النمط من المترجمين إلى حياتنا كى تنتعش حركة الترجمة مرة أخرى. إن الدور الرسمى لن يسهم، فى الوقت الراهن، فى كثير لانتعاش حركة الترجمة. إن المطلوب الآن هو زيادة الصلة بين المترجمين وبعضهم البعض، وليكن هناك اتحاد أو رابطة تجمع شتاتهم ليتعارفوا فيما بينهم وفيما يمكن عمله. ولنبدأ من هنا، وفيما بعد يأتى دور المنظمات الرسمية والبروتوكلات القاتلة المتلونة بلون أنظمتنا المتعددة.

عنانى وفن الترجمة(*)

سعدت كثيراً بقراءة كتاب الأستاذ الدكتور محمد عنانى "فن الترجمة" (١٩٩٢) الصادر عن الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، فى طبعته الأولى. وقد أعقب صدور ذلك الكتاب القيم مقالات ،وتعليقات كثيرة كان غالبها مادحاً وقل أن يكون بينها قادحاً، وغلبت على تلك الآراء صفة المجاملة التى أفسدت الكثير فى حياتنا الثقافية.

وكتاب الدكتور عنانى لا يحتاج إلى مزيد من المدح كما أن الرجل ليس فى حاجة إلى مجاملة من أحد، إنما يحتاج إن يُنقد ويُدرس بعناية ليُعطى حقه ومكانته فى هذا المجال الفريد ألا وهو الكتابة عن الترجمة. وبداية يعلن الدكتور عنانى أن الترجمة "فن" وذلك واضح جلى من عنوان الكتاب "فن الترجمة" وبذا فهو يذهب مع من يذهبون إلى وضع الترجمة ضمن الفنون وليس مع من يضعونها ضمن العلوم. وينقسم الكتاب إلى ستة فصول غير متساوية : الأول يتحدث عن الألفاظ (ثلاث وعشرون صفحة) وتناولها من مجردات عامة، إلى مجردات حديثة، إلى مجسدات إلى المختصرات؛ الفصل الثانى (تسع عشرة صفحة) يتناول التركيب ويناقش الحال والتفضيل والأفعال مع الأدوات. الفصل الثالث (إحدى وثلاثون صفحة) ويتناول بناء الجملة ويناقش المبنى للمجهول والتحميل والجمل المركبة وبعض خصائص العربية، الفصل الرابع (خمسة عشر صفحة) ويتناول الصفات؛ الفصل الخامس (ثمان وعشرون صفحة) ويتناول التراكيب الاصطلاحية حيث يناقش المصطلح والتعبير الاطلاحى والصياغة، أما الفصل السادس وهو أكبر الفصول (ثمان وثلاثون صفحة) فيتناول ترجمة الشعر ومشاكله، ثم ثبت بسيط للمراجع فى خمس صفحات. والكتاب من القطع الصغير.

يعلن الدكتور عنانى بكل تواضع فى مقدمته أنه لا يهدف أن يكون كتابه هذا "مرجعاً (حاشا لله)، ولا أن يكون دليلا عمليا manual، ولكنه يتضمن بعض حصاد التجارب التى مر بها دارس مارس الترجمة على مدى عقود ثلاثة، تصدى فيها لشتى ألوان النصوص، فى مجالات كثيرة، وأحس أن لديه بعض الآراء التى

(*) نشر فى حلقتين بجريدة الرياض العددين ٩٦٣٥، ٩٦٤٢ يومى ١٠ نوفمبر، ١٧ نوفمبر ١٩٩٤م.

قد يستفيد منها البعض، وهى آراء فى صلب عملية الترجمة لافى النظرية" (عنانى: المقدمة) وهذا تواضع لا يلمسه الناقد إلا فى العلماء. وعلى عكس ما يقيم عنانى به كتابة نقول إن هذا الكتاب يعتبر مرجعاً فريداً فى الترجمة لأنه باستخدام كلمات المؤلف مجموعة " آراء فى صلب عملية الترجمة لافى النظرية " وهو بهذا يفوق كتباً أخرى كتبت عن الترجمة كانت تتولى دراسة النظرية المنقولة عن الغربيين فقط دون الخوض فى التفاصيل العملية التى لا تتسنى إلا لمن يتناول نصوصاً بعينها.

ونحن نميل إلى تصنيف الترجمة كفن إنسانى راقى، لا كعلم جامد جاف كالرياضيات مثلاً. فهى فن بكل ما وسعت تلك الكلمة من شاعرية وإبداع وموهبة أيضاً، ولذا أجدنى أتفق مع مذهب الدكتور عنانى إلى أن المترجم "كاتب، أى أن عمله هو صوغ الأفكار فى كلمات موجهة إلى قارئ. والفارق بينه وبين الكاتب الأصيل هو أن الأفكار التى يصوغها ليست أفكاره، بل أفكار سواه. ومن الغريب أن يكون هذا الفارق مدعاة للحط من شأن المترجم فى بلادنا، على ما فى الكتابة بالعربية من صعوبة تثنى الكثيرين عن محاولتها، فأنا أرى أن نقل أفكار الغير أعسر من التعبيرعن آراء المرء الأصلية؛ فالكاتب الذى يصوغ أفكاره الخاصة يتمتع بالحرية فى تطويع اللغة لتلائم هذه الأفكار، بل وتطويع الأفكار لتلائم اللغة". (عنانى: ٥ ـ ٦) كما أن الترجمة عند عنانى " فن تطبيقى، وأنا استخدم كلمة فن بالمعنى العام، أى الحرفة التى لا تتأتى إلا بالدربة والمران والممارسة استناداً إلى موهبة، وربما كانت لها جوانب جمالية، بل ربما كانت لها جوانب إبداعية. ومعنى ذلك أنه لا يمكن لأستاذ فى اللغة أو فى الأدب أو فى كليهما، أياً كان حظه من العلم بالإنجليزية أو بالعربية (بل أياً كان حظه من العلم بنظريات اللغة) أن يخرج لنا نصاً مقبولاً مترجماً عن إحدى اللغتين دون ممارسة طويلة للترجمة ". (عنانى : ٢) ولا يرى المؤلف أن كتب نايدا ونيومارك من غير العرب وكذلك كتب العرب من أمثال محمد عبد الغنى وصفاء خلوصى وإبراهيم زكى خورشيد كافية لأن تقدم لنا مترجماً ذا شأن إن هو عكف على دراستها والإلمام بما فيها.

وبقدر ما سعدت لمطالعة هذا الكتـاب الجيد، الذى هو خلاصة خبرة ثلاثين عاماً فى مكابدة النصوص، فإننى أرجو أن يتـسع صدر أستاذنا لبعض النقاط التى أود مناقشتها هنا، وهى:

١ - حتى نهـاية الفصل الخامس لا يذكـر المؤلف مصادر ترجمـة النصوص المستخدمة فى الأمثلة التى يوردها، كمـا أنه لا يوضح ما إذا كانت الترجمة العربية ترجمـته هو أم أنه ينقلها من نصوص مـنشورة يمكن الاستدلال عليـها. لأنه فى حال ما إذا كـان يعطى ترجمته هو فالحكم هنا يكاد يكـون شخصياً بحتـاً كما فى صفحة ٥٦، والصفحات ٧٨ - ٧٩ حـيث نرى أن الإفراط فى استخدام التحويل - كحيلة ترجمية - أفسد الترجمة كثيراً.

٢- استخدام الأقواس والبدائل فى الترجمة أمر غير مقبول من المترجم فكيف نعتمده فى كتاب يقول مؤلفه فى المقـدمة إنه تعليمى. واستخدام البدائل والأقواس تكرر فى عديد من الصفحات، فصفـحة ٤٤ بها ثلاثة أمثلة وهى: " وبعد أن قتل الثوار أعداءهم بالمقصلة، (دار الزمان) فقتلوا هم أنفسهم بها" و "رأى ثلاثة شبان يرتدون سراويل فـضفاضـة على آخر موضـة، وهم يحدقون فى فـتاة ترتدى رداء ملتصقا بالجسم (والأرجح أنها سراويل) وعلى كتفيها عباءة (كاب) واسعة". وفى صفحة ٤٩ مثال آخر للبـدائل " همست بنبرات ودودة. . (أو تنم عن حبها)". أما صفـحة ٥٥ فـفيهـا خمـسة أمثلة على ذلك وهـى: "لقد أصبـحت المسرحـيات الكلاسيكيـة التى يقلبها المسرح القـومى (محدودة) أو قليلة العدد" ويـشير المؤلف جدلاً فى نصف صفحة تقريباً حول ترجمة هذه الجملة.

"His extremely Limited Knowledge of agriculture was an anomaly ridiculed by farmers , ...".

حـيث يقول " فـلابد أن تتـحاشى هنا كلـمة "مـحدودة " وإلا خـرجت ترجمتك ركيكة، والأفضل تقسيم هذه العبارة إلى عبارتين هكذا:

١ - كانت معرفته بالزراعة بالغة الضآلة (ضئيلة إلى درجة بالغة) وكانت هذه من الغرائب (المفارقـات) التى أثارت سخرية (استهـزاء) المزارعين الذى [هكذا فى نص عنانى وأظنها خطأ مطبعى وصحته الذين] يعملون لديه.

٢- لم يكن يعرف عن الزراعة إلا أقل القليل، وكانت تلك مفارقة، جعلت المزارعين (الذين استأجرهم) يضحكون منه". (عناني : ٥٥) ألا يمكن قبول الصيغة العربية التالية لتلك الجملة الانجليزية : " كانت معرفته المتناهية الضآلة بالزراعة مفارقة لأن يضحك منه مزارعوه" ومعروف أن المزارعين هنا مستأجرون ومعروف أنه هو مالك الأرض والسيد المطاع، لذا فإن استخدام الأقواس والتدخلات لم يؤد غرضاً مفيداً فى الترجمة. ومثال آخر لاستخدام الأقواس نراه فى صفحة ٥٦ حيث يقدم ترجمة لنص على النحو التالى:

" سحرته أمينة المكتبة الشابة بأدبها وانضباطها (فى العمل)، . . " والنص الانجليزى يقول : "Charmed by the disciphined manner of the yunng L.A".

وكذلك فى صفحة ٥٩ : فى السراء والضراء (فى الحلوة والمرة) حتى يفرق بيننا الموت" وهى ترجمة للمثل الإنجليزى:

'For better or for worse till death us do parrt"

ونجد الأقواس والبدائل فى الترجمة فى صفحات أخرى؛ ففى صفحة ٦٢ مثالان، وصفحة ١٠٦ مثالان، ومثال فى صفحة ٦٩، وآخر فى صفحة ٧٠.

٣ - رغم أن المؤلف يخصص الفصل الخامس لتناول التراكيب الإصطلاحية فى اللغة الإنجليزية وكيفية ترجمتها إلى العربية، إلا أنه يقع فى خطأ الخلط بين الاستخدام الاصطلاحى والاستخدام اللفظى كما فى صفحة ٦١ حيث كلمتى ar-rive و reach مفردتان لفظيتان أما get to / get at وما شابههما استخدامات اصطلاحية لها معايير تضبطها.

٤ - فى الصفحات ٩٩- ١٢٠ ترجم المؤلف الفعل Surrendered إلى "استسلمت" وتصرف فترجمها " ازدادت جرعة المبالغات الميلودرامية فى المسرحية"، والنص يقول:

"As broad Farce surrendered to cloying melodrama with its Filful bouts of frenzied shouting" لكنه لم يرتح للترجمة الأولى و اعتبرها محيرة للقارئ أما الثانية فاستحسنها وأبقاها. والواقع أن فعل surrendered to هنا يعنى تحولت إلى وتكون ترجمة النص: عندما تحولت الميلودراما إلي فقاموس <u>Thesaurs</u>

يضع كلمة relinquish مباشرة بعد Surrender وهى بهذا السياق تعنى التخلى عن شيئ ما والاتجاه شيئ آخر بديلاً عنه كما فى *Longman Dictionary of Contemporary English* لذا فإن ترجمة Surrendered "تحولت إلى . . ." تكون موفقة - رغم التوسعة التى أضيفت إلى معانيها الأصلية - أكثر من الترجمة بتصرف التى استخدمها د. عنانى، أو كان عليه أن يبقى على الترجمة الحرفية "إستسلمت إلى . ." حفاظا على روح النص. وللعربية أن تقبل مفردات غريبة كهذه، وهذا ما يذهب اليه د. عنانى نفسه فى آخر كتابه.

٥ - وثمة خطأ مشابه وقع عند التصرف فى الترجمة كما نرى فى الصفحات ١٠٢ - ١٠٥، حيث النص الإنجليزى يقول:

"...Which wreaks havoc with your digestion the following morning",

فقد ترجمه عنانى "إذا تكتشف فى الصباح أنه قد دمر جهازك الهضمى دماراً شاملا". وفى *Webster* فإن فعل Wreak يعنى bring about / Cause وهناك معانى أخرى بمعنى avenge ولكنها على شدتها لا تصل إلى المعنى الذى تصرف فيه المؤلف. ويحس د. عنانى أن ترجمته جانبت النص الأصلى حيث يقول " لقد طالت الترجمة بعض الشيء، وربما كانت تختلف فى بعض الأماكن عن النص الإنجليزى - ولكن الخلاف لا يضيف ولا ينقص شيئاً من المعنى" (عنانى: ١٠٥) ولنا الحق أن نختلف مع المؤلف فيما ذهب اليه. فصحيح أن النص العربى يجب أن يكون مقبولاً بعد ترجمته ولكن إلى حد لايفسد روح النص الأصلى وهذا بالطبع أساس جميع مشكلات الترجمة إلى العربية - لكن ذلك لا يعطى المترجم مسوغاً ليكون النص المنقول إلى العربية فضفاضاً، والأفضل أن نقطع من الثوب العربى ما يناسب فقط المفردة الإنجليزية.

٦ - عندما يتناول المؤلف ترجمة التعبير الاصطلاحى من الإنجليزية إلى العربية كما فى الصفحات ١٢٠ - ١٢٥ فإنه يقع فى خطأين. الأول: وهو الترجمة بتصرف غير عادى مما يجعل النص العربى فضفاضاً إذا ماقورن بالنص الإنجليزى. أما الخطأ الثانى: فهو خطأ فادح؛ فإنه يترجم النص الإنجليزى إلى عربية عامية مصرية. وهو فى هذا يعيدنا إلى جدال حضارى لغوى قديم.

فالاتصال الثقافى الحضارى واللغوى عن طريق الترجمة هدفه الأسمى هو الارتقاء بحضارتنا إلى أعلى وليس الهبوط بها إلى إقليمية متعجرفة متغطرسة، وذلك عن طريق اعتماد العاميات العربية كلغات رسمية ننشر بها أعمالنا سواء كانت مترجمة أو مؤلفة. لذا أجد الحكم النهائى للدكتور عنانى حكم جائر على اللسان العربى عموماً حيث يقول : " والمشكلة فى رأيى لاحل لها فى الفصحى؛ فالحوار فى الإنجليزية ينبغى أن يترجم إلى حوار حى بالعربية أى العامية، ولو اقتضى ذلك إخراج ترجمة له فى كل بلد عربى باللهجة الدارجة له" .(عنانى: ١٢٥) وذلك يعنى أن النص الذى يورده عنانى قد يترجم بما يزيد عن مائة لغة عربية. فاللغة العربية الحية فى نظر المؤلف هى العامية فقط، وكأن ما خالف العامية ميت لاحياة فيه. ومن ثم فيجب إعادة النظر فى حواريات الجاحظ فى البخلاء لأنها كتبت بالفصحى. ونقطة أخرى، هل صحيح أن النص الإنجليزى كتب بعامية دارجة كى يترجم إلى عربية عامية كما يرى المؤلف؟ ولنضع فقرات من التصبين لنرى هل هذا صحيح أم لا:

A : It may be just misplaced. Have you Looketd everywhere.

B : It is not to be found anywhere...definitely lost;

وترجمة عنانى:

أ ـ لا يا شيخ. .يمكن بس منطور هنا والا هنا . .دورت عليه كويس؟

ب ـ فص ملح وداب. .ضاع يعنى!

وأظن أن هذا النص لوقرئ فى الشام، مثلاً، لاحتاج القارئ السورى إلى ترجمة عربية توضح له معنى "منطور" المصرية فهى تعنى فى الشام " الذى عليه حراسة من قبل الأمن " فهم يقولون "ناطور" بمعنى حارس والنواطير صيغة جمع منها. ولا أدرى هل يفهم هذا النص فى المغرب أو اليمن أو الجزيرة. صحيح أن اللهجة المصرية متسيدة فى العالم العربى بفضل الأفلام والمسرحيات والأغانى ومدى انتشارها لكننا بصدد نصوص مكتوبة، لذا فبيت القصيد هو الفصحى

ودرجاتها وليس العامية الدارجة وما يمكن أن تكون عليه من تشعب وتشرذم وانكفاء على الذات. ومثال آخر:

B : Well, will you have some coffee?

A : I don't mind if I do , actually.

B : Ritght ; See if there's any left.

(عنانى : ١٢٢)

وترجمة عنانى المقترحة:

ب - ولا يهمك.. تشرب قهوة؟

أ - ماعنديش مانع فى الحقيقة..

ب - ماشى.. أظن فاضل شوية فى البراد.. (عنانى : ١٢٥)

وأعود إلى محلية العربية العامية فأقول أن كلمة "ماشى" التى يطرحها د. عنانى تعنى إذا ما نطقت مع تشديد الشين "لاشىء" فى الجزيرة والخليج، كما أن كلمة "براد" تعنى فى الشام "الثلاجة" ونسمع عن البرادات أى الحاويات المبردة، لذا فإن اعتماد العامية وسطاً للترجمة إساءة إلى عربيتنا وإلى فكرنا ويجب ألا نتبناه كأسلوب للنقل عن الآخرين حتى ولوكان فى الحواريات، لأن الحوار الذى تكتب به الإنجليزية قد يكون فى بعضه عامياً ولكن هذه مشكلة أهل الإنجليزية ولا يجب أن نقلدهم فيها. ولا أعتقد أن إحالة القارئ إلى كتاب السعيد البدوى تعطى د. عنانى الحق فى تبنى العامية وسطاً فى الترجمة. وما يذهب إليه السعيد بدوى هو رأى فقط.

٧ - يشير د. عنانى قضية نادراً ما نسمع عنها، ألا وهى "علمية اللغة الإنجليزية المعاصرة". فقد صمت آذاننا من أن اللغة الإنجليزية لغة علمية أما العربية فهى دون ذلك وأمامها شوط كبير حتى ترقى إلى الإنجليزية العلمية. والواقع أن اللغة وسط للتعبير عن الأفكار والمشاعر وبالتالى فإنها تتلون بأفكار ومشاعر مستخدمها عربياً كان أو إنجليزياً. لذا أجد نفسى متفقاً تماماً مع ما ذهب اليه د. عنانى فى مقولته عن علمية الإنجليزية : "..وما هى كذلك؛ فهى لا تقدم الحقائق الخالصة، ولكنها تمزجها بالإعراب عن المواقف، وتلونها بوجهات النظر، بل وتضمنها مشاعر كثيراً ما تبرز إلى السطح. ولقد تعلمت بعد الممارسة الطويلة أن المترجم مطالب فى المقام الأول بإخراج المعنى كاملاً غير منقوص، فإذا كان المعنى

يتضمن موقفاً أو وجهة نظر أو مشاعر فلابد من إخراج ذلك أيضاً؛ فمشكلة المترجم الأولى تظل إدراك المعنى الكامل ونقله بأمانة" . (عنانى : ١٣٢) وهذا يعطى المترجم الحق فى أن يكون حريصاً" ألا ينقل نقلاً أعمى عن النص الأجنبى.

ويناقش عنانى آراء Hindle التى توضح العيوب الأسلوبية فى الإنجليزية المعاصرة، ومنها: " المبنى للمجهول الزائف، واستخدام الأسماء بدلاً من الأفعال؛ والغموض وينبع من عدم الحرص فى الصياغة. وأنواعه كثيرة، منها إساءة فهم معنى الكلمة المستخدمة، أو استخدامها فى المعنى القاموسى بدلاً من الشائع أو العكس. . والحق أن هذا العيب ـ أى إساءة استخدام الكلمة فى النص الإنجليزى ـ يوقع المترجم فى حيرة : هل عليه أن يلتزم بما أمامه أم ينفذ إلى ما يعنيه الكاتب، أو إلى ما يتصور أنه يعنيه؟ القاعدة العامة هى الالتزام بما أمامه إن كان معنى الكلمة هو سبب المشكلة، فهذا وزر يتحمله الكاتب وحدة ، أما إذا كان الغموض يرجع إلى التركيب، ويدل على إهمال واضح من الكاتب، فلن يغفر القارئ للمترجم غموضه. . وثالث هذه العيوب هو ما يسميه هندل بالحشد Cramming، أى محاولة إدراج أكبر قدر من الأفكار فى جملة واحدة أو فقرة واحدة. . " . (عنانى: ١٣٢ ـ ١٤٤) وهذه من الأسباب التى أدت إلى نقل بعض من الرطانة الإنجليزية إلى اللغة العربية المعاصرة وذلك مما يؤثر سلباً على العربية. إن معالجة د. عنانى لهذه القضية معالجة فريدة من نوعها ودفاع قوى عن عربيتنا يعكس حرصاً قوياً على لغتنا القومية ولست أدرى سبباً لتبنيه العامية الدارجة وسطاً للترجمة كما ناقشنا منذ قليل.

٨ ـ ثمة خلط كثير للأوراق فى عالمنا الثقافى بدأ منذ زمن طويل يقول إن المترجمين يقسمون إلى مترجم أدبى واقتصادى وثالث عسكرى ورابع فنى وخامس سينمائى إلى آخر القائمة مما يوسع رقعة الخلط التى نتكلم عنها . ولقد تعرضت لمساوئ هذا الخلط عندما ترجمت لشركة فورد، فقيل لى أنت مترجم أدبى؛ وعندما عملت فى الترجمة فى المجال الطبى قيل لى أنت مترجم أدبى وفنى ولن تفلح فى المجال الطبى، وكانت تلك أوهاماً تعشش فى رأس قائلها. فالمترجم الكفء هو الذى يجيد الإنجليزية والعربية معاً ويستطيع بعد ذلك أن يوسع دائرة معارفة من الطب إلى الهندسة والتكنولوجيا مروراً بالسياسة والفكر والاقتصاد. لذا

أجدنى أتفق قلباً وقالباً مع الدكتور عنانى فيما ذهب إليه من عدم وجود لغة أدبية وأخرى سياسية وثالثة اقتصادية، وينتهى إلى القول " بأن تصور وجود لغة خاصة بالأدب وهم كبير، فاللغة واحدة، ولكن الأديب يستخدمها بطرائق وأساليب خاصة؛ مما يلقى بأعباء إضافية على كاهل المترجم وأوضح مجال أدبى تتبدى فيه هذه الأعباء هو الشعر، . . " .(عنانى : ١٤٥).

٩- أجد الفصل السادس : ترجمة الشعر، هو أكثر الفصول حيوية فى كتاب د. عنانى. فقد أبدع فعلاً فى هذا الفصل. فنحن أمام شاعر جيد القريحة له باع طويل فى قرض وترجمة الشعر موزوناً ومرسلاً. ويستعرض فى بداية مناقشته لترجمة الشعر آراء جون درايدن (١٦٣١ - ١٧٠٠) فى الترجمة الأدبية وهى فى ثلاثة مذاهب" الأول هو النقل الحرفى للألفاظ فى سياقها الأصلى، meta phrase, أى الترجمة الحرفية. والثانى هو نقل المعانى فحسب، بغض النظر عن نسق الجملة أو انتظام الكلمات فى العبارة، وما لهذا من دلالات؛ وهو ما يسميه Paraphrase والثالث هو إعادة سبك العبارات بل القصيدة كلها إذا اقتضى الأمر بحيث يستطيع تقديم المثيل أو البديل للعمل الأصلى باللغة المترجم إليها. وهو يطلق على هذا الاصطلاح imitation أو المحاكاة، أى محاكاة الشاعر فيما فعل من وزن وقواف وصور ومعان. وهذا فى رأيى أصلح المناهج للترجمة الأدبية" . (عنانى : ١٤٧) ولست أدرى لماذا لم يتعرض عنانى لآراء ماثيو أرنولد (١٨٢٢ - ١٨٨٨) فى مناقته الشهيرة لترجمة هوميروس *On Translaing Homer* ففيها عن الترجمة والمترجم فى هذا الصدد ما يكفى ويزيد. وقد يكون ذلك موضوع حديث لاحق. ومن أهم ما ينتهى إليه د. عنانى أن المترجم الصادق هو الأديب الصادق أيضاً" . (عنانى : ١٥٢) وهذا ما يبرر قبول ترجمة فطينة النائب للسونيتة ١٨ لشكسبير كأحسن ترجمة مفضلاً إياها عن ترجمته هو شخصياً وترجمة حسين دباغ. وهذا الحكم فى حد ذاته يعطى الأمل فى ترجمة جميع الأشعار من اللغات الأخرى الى العربية بنفس الروح الموجودة فى تلك اللغات. وأظن أن تجربة الشاعر أحمد رامى فى ترجمة رباعيات الخيام (عن الفارسية) شعراً كانت مثالاً أكثر وضوحاً ودلالة على ما ذهب إليه عنانى من أن المترجم الصادق هو الأديب الصادق أيضاً.

١٠ ـ وإذا كانت اللغة الحية هى التى تكتسب مفردات جديدة لتحيا، فإن اللغة العربية فى أيدى أبنائها مطالبة ببذل الجهد لكسب مفردات جديدة تضاف اليها. ولقد أثار د. عنانى هذه القضية فى كتابه موضحاً أن القرآن الكريم، وهو أقدس وعاء للغة العربية، قد أعطانا الرخصة فى أن نعرب من اللغات الأخرى، "فاللغة العربية ذات قدرة فائقة على تطويع الغريب وقبوله وإحلاله محلاً عربياً لا شك فيه. ويكفى أن ننظر إلى الكلمات الفارسية التى استخدمها القرآن الكريم نفسه، مثل السندس والإستبرق والسرادق والنمارق ،وما إليها. إن وجود هذه الكلمات تصريح ربانى لنا بتعريب الكلمات التى نحتاج إليها فى لغتنا العربية، أو قل هى الرخصة التى لا ينبغى أن يجادل فيها أحد. وكثيراً ما أعجب للذى ينفر من كلمة 'الميدان' باعتبارها فارسية الأصل مفضلاً عليها كلمة 'الحقل' على حين يكتب فى آخر كتابة 'فهرساً' وهى أيضاً فارسية الأصل .(عنانى : ١٧٩) وزاد عجبى شخصياً أستاذ فاضل مهتم بالترجمة يعتب على العربية أنها لم تجد ترجمات للأوكسجين والهيدروجين والكربون، وجادلته يومها أن هذه الكلمات وجدت فى جميع لغات العالم كما هى فى الأصل الإغريقى والفرنسى واللاتينى بالترتيب فلماذا تكون العربية فقط مطالبة بأن توجد لها ترجمة عربية مقابلة؟.

١١ ـ ويقدم د. عنانى مناقشة جريئة لقضية الخيانة والأمانة فى الترجمة؛ فهو يرى أن مقاييس العصر وأطره ومفاهيمه هى التى تتحكم فى مفهوم النص المترجم وليس دقة اللفظة التى يأتى بها المترجم ليقدم بها النص العربى إلى قارئه. " . . . فالذى يلتزم بالعرف فى عصر ما أو ما اصطلح عليه من أعراف فى عصر ما يعتبر أميناً. ولكن أمانته محكومة بعصره؛ إذ قد تتغير الأعراف فى عصر لاحق فتصبح ترجمته غير مفهومة للجمهور، ويعتبر خائناً للنص بمقياس العصر الجديد. ولذلك فنحن نقرأ ترجمات السلف عن اليونانية مثلاً فنرى بعضها خائناً وقد كان أميناً فى عصره. بل أننا نقرأ ترجمات لرواد الأدب فى الجيل الماضى، فنعتبر بعضها خائناً، وقد كان ناجحاً وأميناً على النص فى أيامه. وإنى لأعجب ما يقول أولئك المترجمون الأوائل إذا بعث أحد منهم وقرأ فى صحفنا عن الأمن الغذائى، أو عن سياسة الانفتاح، أو عن التوسع الأفقى فى الزراعة والتوسع الرأسى، . . . " .(عنانى : ١٨١).

إن هذه الملاحظات مجرد خلاف أو اتفاق فى الرأى فقط، لكنها لا تقلل من قيمة هـذا العمل شيئاً. فكتاب الأسـتاذ الدكتور محمـد عنانى مرجع قيم لدارس الترجمة وكـذلك لمحترف العمل فيهـا أياً كان "ميدان" الترجمـة الذى يعمل فيه. وإن جرأة الآراء التى قـدمها المؤلف تجـعل من هذا العمل مـرجعاً فـريداً فى حقل الترجمة التى يعتبر عدد الكتب المرجعية فيها قليل.

وظيفة الترجمة(*)

لن نختلف كثيراً حول تحديد وظائف الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وقد نجمل فنقول إن وظيفة الترجمة الرئيسية هى نقل ما لدى الآخرين إلينا كى نستطيع الاستفادة من تجربتهم، وبذا نستطيع تحديث ما لدينا من خلال عملية المعاصرة التى تلعب الترجمة الدور الرئيسى فيها. لذا وجب أن تتوفر فى النصوص المترجمة إلى العربية بعض العناصر التى تؤدى الى تحديث ما لدينا، وأن يكون فى تلك النصوص، وبنفس القدر مسحة من المعاصرة.

وأمامى خمسة كتب مترجمة كلها من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، وأقدمها للقارئ حسب ظهور طبعتها الأولى فى اللغة الإنجليزية **الأول:** هو "التميز: الموهبة والقيادة *Excellence : Talent and Leadership* تأليف جون دبليو جاردنر، وترجمة د. محمد محمود رضوان (القاهرة الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٨٩) وظهرت طبعته الأولى بالانجليزية عام ١٩٦١م. **الثانى:** "بلاغة الفن القصصى *The Rhetoric of Fiction* تأليف بروفيسور وين بوث، ترجمة د. أحمدخليل عرادات ود على الغامدى (الرياض: مركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٩٩٤)، وظهرت طبعته الأولى بالانجليزية عام ١٩٦١. **الثالث:** التعليم العالى فى جتمع متعلم *Higher Education in a Learning Soci-etyg : Meeting Demands for Education and Training* تأليف جيرولد آبسن، وترجمة د. شحده فارع (عَمّان: دار البشير ١٩٩١) وظهرت طبعته الأولى بالإنجليزية عام ١٩٨٨. **الرابع:** " معاونة الكبار على التعلم: تخطيط البرامج وتطبيقها إرادارته *Helping Adults Learn : A guide to Planning , Implement-ing , and Conducting Programs* تأليف آلان نوكس، ترجمة د. محمود رضوان (القاهرة: الجمعية المصرية لنشر لمعرفة والثقافة العالمية ١٩٩٣) وظهرت طبعته الأولى بالإنجليزية عام ١٩٨٦. أما الكتاب **الخامس:** فهو "إسكالنتى: أفضل المعلمين فى أمريكا *Escalante : The Best Teacher in America* تأليف جاى ماثيوز، تدقيق وتحرير د. فاروق منصور (عَمّانْ: مركز الكتب الاردنى ١٩٩٠) وظهرت طبعته الأولى باللغة الإنجليزية عام ١٩٨٨.

(*) نشر بالملحق الأدبى لجريدة الرياض، عدد ٩٧٠٥، ١٩ يناير ١٩٩٥.

ومن مقارنة تاريخى الطبعة الأولى فى الإنجليزية وظهور تلك الكتب مترجمة إلى العربيـة، يمكننا القول إن الكتابين الأولين وهمـا "التميز : الموهبـة والقيادة؛ وكذلك "بلاغـة الفن القصصى" ـ رغم اخـتلاف الحقلين اللذين يتناولاهمـا ـ قد أخلا بالفرضيـة الأساسية التى ينبنى عليها هذا المقـال وهى تحديث الموجود العربى من خلال ربـطة بما هو معـاصر لدى الفكر الأجنبى، ونحن نطـمح إلى معـاصرة مماثلة وليس تحـديثاً فـقط، ولكن الظاهرة لابد أن نتـخلف بعض الوقت أو حـتى العقود عما لدى الغرب لذا يكون ما لديهم مـعاصراً بينما هو جديد حديث لدينا، والمعاصر بن اليوم، أما الحديث الجديد الذى نقصده فهو بين عشرين أو أربعين سنة مضت، لذا أرانى أعجب من الدهشـة التى استولت على مترجم كتـاب "التميز : الموهبة والقـيادة" عند شروعه فـى ترجـمـة هـذا الكتـاب " . . . ولـم أكـد أشرع فى قراءته، وأمضى بـين سطوره حتى أخذتـنى الدهـشة . . . أترانى أقرأ كتاباً عن المجتـمع المصرى كـتب باللغة الإنجليـزية؟" (جاردنر : ١٣) . نعم، إن مـشاكل الشبـاب الأمريكى عام ١٩٦١ م وقت صدور الكتـاب فى طبعتـه الإنجليزية، هى نفس مشـاكل المجتـمع المصرى عند صـدور الكتاب باللغـة العربيـة عام ١٩٨٩ . ولاينتبه المتـرجم إلى تلك الهوة الزمنية التى تفـصل بين الكتاب وترجمتـه، وتغير نوعية المشاكل فى مجتمع دائم التقلب والتغير مثل المجتمع الأمريكى، وهو لا يرى أى غضاضـة أن تكون أحوالنا اليوم هى أحوالهم منذ سبع وعـشرين سنة مضت. ويستمر د. رضوان فى دهشته ليقول " قد يبـدو هذا القول غريباً، ولكنها الحقيقة التى لا مبالغة فيـها، فالقضايا والمشكلات الاجتماعية والإدارية والتـعليمية المثارة ـ وكلها مسـتقاة من المجتـمع الأمريكى ـ هى هى ـ تقريباً القـضايا والمشكلات التى نواجهها فى مـجتمعنا المصرى " (المرجع السابق، نفس الصفـحة) وهذا صحيح، ولكن هل مشاكل الشباب الأمريكى مازالت هى نفسها مشاكله عام ١٩٦١؟ وأظن الإجابة لا. وهذا ما ينـفى عن هـذا الكـتاب صـفة أن يسهم فى تحديث ومعاصرة الفكر الاجتـماعى والتعليـمى والإدارى فـى مـصر، وعـلى العكـس فـإنه يضـعنا تحت تأثير وهم وهو أن الشباب الأمريكى اليوم هم الذين نراهم فى صفحات هذا الكتابُ، الذى لا نقلل من علميـته أو موثوقيته، لكن قـياسنا هنا : إلى أى مدى يمكن أن يوجد هذا العـمل تفاعلاً تحديثيـاً بين ما يقع فى أمريكا ومـا يقع مصر؟

لكن أن يتناول الكتاب مشـاكل الشباب الأمريكى عام ١٩٦١ فـهذا جزء من تاريخ علم الاجتـماع أو الإدارة أو التعليم ولـيس عاملاً حـافزاً لحل مشـاكلنا اليوم. إن مشاكل الشـباب المصرى اليوم تكاد تكون فى معظمـها هى نفسها مشـاكل الشباب الأمريـكى اليوم أيضـاً فى نهاية عـام١٩٩٤ : البطالة؛ تدهور القـيم الأخلاقـية؛ تدهور المستوى التعليـمى؛ غياب القدوة؛ عدم الثقة فى المسـتقبل؛ التطرف الدينى وليس أدل من ذلك على وجـود ١٦٠٠ محطة إذاعة وتـليفزيون مـخصـصة لبث البرامج الدينية التى تتراوح فى جدها وهزلها، ومـا ظهور أدعياء النبوة مثل قورش إلا مـثال ثان على التطرف الـدينى. وكان أجـدى بالمترجـم والدار الدولية للنشـر والتوزيع لو تناولا أحد الكتب التى تتناول التطرف الدينى فى أمريكا مثلاً، أو أحد الكتب التى تتكلم عن الإدمان والإنحراف عموماً. أمـا الإيهام بأن مشاكل الشباب الأمريكى عـام ١٩٦١ هى نفس مشـاكلنا اليوم فهـذا غيـر مقبـول وإن كان درس التاريخ يسـوغ المعرفة به. إن الـفصل السابع عـشر من كتـاب "التميـز : الموهبة والقـيادة " هو إعادة صـياغـة لأفكار ماثيـو آرنولد (١٨٢٢ ـ ١٨٨٨) فى رائعـته "الثقافـة والفوضى" (١٨٦٩) والذى خصص فيها فـصلاً تحت عنوان " أن نفعل كمـا نحب " ويخلص فيه أن للحـرية ضابطاً وقوانـيناً إن لم نلتزم بها أصـبحت كعدمها. يقول جاردنر، مؤلف كتاب "التميز" فى الفصل السابع عشر " إن علينا أن نَهبَ ـ فى حـرية ـ ولاءنا إلى المجتمع الأمـريكى الذى يَهبُ لنا الحـرية، ولقد قال مونتـسكيو إن الجمهورية لا يمكنـها أن تبقى إلا إذا كان مواطنوها يحـبونها. حرية والتزام، حـرية وواجب : تلك هى الصفقـة، وعلينا ألا ننساها أبداً، وعلينا ألا نخـدع أنفسنا أبداً. .فليس من المنـطق الصائب أو الخطة الرشـيدة أن يتـاح لنا الحصـول على الحرية دون التزام. .لن يـستمـر ذلك طويلاً. . " (جاردنر : ٢٢٣) ذلك جزء من كل الـتفكير المثـالى الذى لن يفيـد مصر أو شـبابها شـيئـاً فى عام ١٩٩٤م.

ونفس المفارقة موجـودة، نقدياً هذه المرة، عند استعراض الوظيفة التـرجمية لكتاب " بلاغة الفـن القصصى" فرغم أن الدكتـور محمد سليمـان القويلفى يعى تماماً أن كتاب " بلاغة الفن القصصى " قد تأخر على الأقل عقدين من الزمن إلا أنه يعلن سروره بهـذا الكتاب رغم تأخره، ويضيف "صـحيح أننا دخلنا منذ ذلك

الحين (بعض الدخول)، فى سياق نظريات وطرائق نقدية مختلفة شيئاً، ولاحقة لما فى الكتاب، ولكن ذلك لم يكن ليغنى عن ترجمته، فهو في ظنى (جسر) من الجسور التى لابد من عبورها للعبور (بسلاسة) ـ وبدون أوهام أفلاطونية ـ من (هنرى جيمس) و (بيرس لوبوك) و (فورستر) وغيرهم إلى إبارت، وأندوروف وجيراد جينييت ومن نحى نحوهم من نقاد المدرسة الفرنسية بتياراتها المختلفة ومعهم أفكار نقاد ما سمى خطأ مقصوداً ـ المدرسة الشكلية؛ . . . وهذه ليست محاولة لتعيين موقع (بلاغة الفن القصصى) تعييناً دقيقاً من حيث موقعه فى سياق طروحات الحقل وإنما هى إشارة إلى جانب واحد من طبيعه طروحاته وعلاقته بسابقيه" (الرياض : العدد ٩٦٦٣)ونحن نتفق تماماً مع الدكتور القويفلى فى أهمية عبور تلك الجسور النقدية بسلاسة، ولكن ألا يرى معى الدكتور القويفلى أن هذه العملية ستكون عبوراً إلى الخلف؟ فأين "بلاغة الفن القصصى" من كتابات ديفيد لودج الذى ختم به شهادته حول كتاب وين بوث؟ وإذا كان الدكتور القويفلى قد استهل استعراضه للترجمة بالاستشهاد بكلمات جون كرو رانسوم، فهل يقبل الدكتور القويفلى أن يستشهد طالب النقد فى نهاية ١٩٩ بما قال جون كرو رانسوم (١٨٨٨ ـ ١٩٧٤) فى عام ١٩٣٤حول الشعر الفيزيقى والأفلاطونى، وكذلك الشعر الميتافيزيقى؟ أظنه لا يقبل بذلك حيث إن الستين سنة التى تفصل بيننا وبين رانسوم وجيله من أمثال ت. إس. إليوت (١٨٨٨ ـ ١٩٦٥) تجعل ما قالوه من التراث النقدى مع نهاية ١٩٩٤م. ولقد كان إليوت ناقداً نافذ البصر والبصيرة عندما أعلن أن ذكراه المئوية ستمر دون أن يتذكره أحد رغم علمنا تماماً بما أحدثه إليوت من تطورات هائلة فى النقد ووظيفته ومسمياته. ولا أظن أحداً اليوم يهتم بآراء تى . إس إليوت إلا على أساس كونها جُزءاً من كلاسيكيات النقد، ونجد الدكتور القويفلى يعترف بأن " بلاغه الفن القصصى" قد أصبح "(كلاسيكياً) على حد تعبير اللغة الإنجليزية فى وصفها الكتب (الرئيسة) فى حقل معرفى ما " (المرجع السابق) رغم كل ذلك فإن الدكتور القويفلى لا يرى ضررا فى تأخر ظهور "بلاغة الفن القصصى" ، بل ويرى أنه قصر عن مثيلاته الكلاسيكية بست سنوات " وأكاد أشبهه من حيث كلاسيكيته، لا مبحثه الدقيق بكتاب "نورثروب فراى"

(تشريح النقـد) الذى ترجم (أخيـراً) إلى العربية، بعـد أكثر من أربـعين سنة من صـدوره، وكـتـاب (نظرية الأدب) لـ "أوستن وارين" و "ريـنيـه ويليك"، الذى ظهرت ترجـمته إلى العربيـة فى أواخر السبعـينيات الميلادية بعـد أربعين سنة من ظهوره هو أيضا. على أن كتاب "بلاغة الفن القصصى" تخلص من تلك الأربعينية بقصوره عنها بست سنوات " (المرجع السابق).

إننى مسرور مثل الدكتور القويفلى بهذه الترجمة لكن سرورى سيكون اعظم لو أنفق المترجـمان وقتهمـا فى ترجمة آراء ديفيـد لودج، أو كى. إم. نيوتن، أو إدودار سعيد، أو حاتم، أو أياً من الأسـماء التى تلمع فى أيامنا هذه، وخصوصاً أن بينها عربى هو إدوارد سعيد، لا يخلو كتاب فى النقد المعاصر من فصل أو جزء من فصل عن اتجاهه النقدى. لذا فإن ترجمة "بلاغة الفن القـصصى" تبتعد كثيراً عن الفرضية التى سبقت فى بداية هذه الدراسة وهى أن وظيـفة الترجمة التحديث حتماً والمعاصرة إن أمكن.

أما الكتب الثـلاثة الأخرى، وإن كان يجمعـها حقل التعليم فـإنها صدرت حديثاً باللغة الإنجـليزية، وكذلك صدرت ترجمتهـا بعد سنتين أو ثلاث سنوات، وقد نقول أن هذا هو الوقت المستـغرق فى الترجمة والمراجعـة حتى النشر. فكتاب "التعليم فى مجتمع متعلم" صـدرت طبعته الإنجليزية عام ١٩٨٨ وترجم فى عام ١٩٩١ إلى العربية؛ وكتاب "إسكالنتى: أفضل المعلمين فى أمريكا" صدرت طبعته الإنجليزيـة عام ١٩٨٨ وترجم إلى العربـية عام ١٩٩٠. إلا أن كـتاب " مـعاونة الكبار على التعلم: تخطيط البرامج وتطبيقتـها وإدارتها "صدرت طبعته الإنجليزية عام ١٩٨٦ وترجم إلى العـربية فى عام ١٩٩٣، أى أن سـبع سنوات فصلت بين الطبعة الإنجليزية والطبـعة العربية. ومن ثم فإنه لا توجد هوة زمنية كـبيرة تفصلنا عنهم.

وكتاب "التعليم العالى فى مجتمع متعلم " يناقش منذ البداية الأسباب التى أدت إلى وجوب حدوث تغيـير فى نظرة الأفراد والمجتمعـات إلى التعليم العالى، وأظن أن البلاد العربية تمر بنفس الظروف. فنظرتنا اليـوم الى الجامعة لم تكن كما

كانت عليه منذ خمسين أو حتى عشرين عاماً مضت، ولوعاد التاريخ ببعضنا إلى الوراء لاخترنا أن ندرس إدارة الأعمال مثلاً، أو علوم الحاسب الآلي، ولكن لكل زمان أحكامه التى نجد أنفسنا - شئنا أو لم نشأ - محكومين بها. ونعود إلى الأسباب التى يلخصها جيرولد أبس فى كتاب " التعلم العلمى فى مجتمع متعلم " وهى " ظهور تغيرات بنيوية". ظهور مؤسسات تعليمية بديلة . تلاشى الحواجز بين ما هى أكاديمى وغير أكاديمى. تلاشى الفروق التقليدية بين التدريس فى الحرم الجامعى وخارجه. تبنى عدة استراتيجيات للتغيير. تطوير أساليب جديدة للتعليم والتعلم. استخدام مصادر جديدة وخلاقة للتمويل. تطوير برامج خاصة لفئات معينة من المجتمع. ظهور لغة جديدة" . (أبس : ٩) وأظن هذه بحق بعض الأسباب التى حذت بكثير من الدول العربية، وخصوصاً مصر والأردن إلى التوجه إلى التعليم الخاص فى المرحلة الجامعية، والاتجاه عموماً نحو التعليم الفنى، وفتح الفرصة للكبار لدخول الجامعة إما عن طريق الانتساب الكامل أو الموجه، وقد كان للإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية تجربة رائدة فى هذا المجال.
وأظن هذا الكتاب بما فيه من دراسات معاصرة سيفيد الكثير من القائمين على التعليم العالى فى أى دولة عربية. وينقل لنا المؤلف تجربة فشل ونجاح التعليم العالى فى أمريكا، فيقول : "لقد وضعت أسس التعليم العالى الحالى فى أواخر القرن التاسع عشر. وقد أوجدت الاضطربات الطلابية فى الستينات من هذا القرن صورة سلبية للجامعات الأمريكية على الأقل فى بعض الأوساط الأمريكية، ولكن التعليم العالى ازدهر فى السبعينيات، وتشمل المؤثرات على التعليم العالى ما يلى :

١ - التغير فى إعداد الطلبة المسجلين وازدياد عدد الطلبة الكبار فى الكليات.

٢ - تغيير فى المناهج لصالح المناهج المهنية.

٣ - التنافس بين الجامعات والكليات ومؤسسات التعليم العالى البديلة.

٤ - التعاون بين الجامعات والكليات والمؤسسات الأخرى.

٥ - تطور وسائل وأساليب تدريس جديدة.

٦ - ازدياد المشاكل المالية التى تواجه عدداً كبيراً من المؤسسات.

ويشهد التاريخ أن مؤسسات التعليم كانت تستجيب للقوى الاجتماعية بشكل مستمر. ونادراً ما كانت المؤسسات ترفض التغيير، إلا أنها كانت تستجيب. وتطور نفسها وتعدل من برامجها بالرغم من أنها تفضل البقاء على ما كانت عليه أكثر من إنصياعها للتجديد والتغيير" (أبس : ٣٧). كما أن آراء فى مناقشة تعليم الكبار وما يجب عمله نحو تعليم أفضل، هو ما تتطلبه مجتمعاتنا. يتخبط البعض فى توفير فرص التعليم للكبار، فيحولون فصول تعليم الكبار الى دروس تقليدية كما لو كانوا يخاطبون طلاباً منتظمين بالجامعة.

إن الكتاب ـ فى مجمله ـ تجربة معاصرة ودسمة لتعليم الكبار فى المجتمع الأمريكى، وقد نقلت هذه التجربة إلى اللغة العربية فى وقت مناسب بعد صدورها فى طبيعتها الإنجليزية بثلاث سنوات، وما على المهتمين بتعليم الكبار إلا اقتناؤه والاستفادة قدر المستطاع بما فيه.

أما الكتاب الرابع "إسكالنتى : أفضل المعلمين فى أمريكا " فنحن بحاجة الى هذا النوع منه ليرافق جميع مدرسينا الذين قد يصابون بخيبة أمل عند دخولهم أحد الفصول التى أفسدتها " مدرسة المشاغبين " وناظرها ومخرجها ومؤلفها وممثلوها. إن جيم إسكالنتى يقدم تجربته بين طلاب جاءوا الولايات المتحدة من دول أمريكا اللاتينية. وتجربة إسكالنتى تقع فى مدرسة جارفيلد فى لوس أنجيلوس الشرقية. إن أكثر من ٩٥٪ من الطلاب فى مدرسة جارفيلد ينحدرون من عائلات من أمريكا اللاتينية، كما أن بعض تلك العائلات قد جاءت إلى الولايات المتحدة من المكسيك بطريقة غير شرعية فى الغالب. وحتى من مضى على إقامتهم فترة طويلة مازالوا يتكلمون الأسبانية فى بيوتهم. وقليل من البيوت تحوى كتباً بغض النظر عن اللغة المكتوبة فيها، أو شهادات من أى من المعاهد معلقة على الجدران" (ماثيوز : ٦) ومجتمع الأمريكيين الذين يأتون من أمريكا اللاتينية ذو طبيعة تعليمية سلبية خاصة " وحسب ما تقول الهيئة الوطنية الخاصة بالتعليم الثانوى للأسبان، فإن ٤٠٪ من الشباب من الأصل اللاتينى فى الولايات المتحدة والذين يتركون المدارس قبل التخرج يفعلون ذلك قبل إتمام الصف العاشر. كما أن ٤٥٪ من الطلبة من الأصل المكسيكى والبورتوريكى لا ينهون دراستهم الثانوية أبداً، و ٧٦٪ من جميع الطلاب من الأصل اللاتينى لا يحققون إلا أدنى النتائج فى الامتحانات

الوطنية الموحدة. ففى كاليفورنيا وحدها أكثر من ١٣٪ من جميع خريجى المدارس الثانوية و ٥ ٪ فقط من الخريجين من أصل لاتينى كانوا مؤهلين للقبول فى جامعة كاليفورنيا عام ١٩٨٣" (ماثيوز : ٨ ـ ٩) إن نجاح إسكالتنى فى مدرسة جارفيلد الثانوية "غير المتوقع والمنقطع النظير نشأ من معتقدات وطموحات رجل واحد بمساعدة بعض الأشخاص الذين شاركوه بعضاً من آرائه وإن لم يكن كلها. لم يقدم أى منهم نظريات عظيمة عندما بدأوا فى مبادراتهم، والقليل منهم حلم بالنتائج المذهلة التى تحققت " (ماثيوز : ٣٧٥). ومن المهم أن نعلم أن تجربة إسكالنتى قد وقعت بين الطلاب الأمريكين الذين يمضون أمام التليفزيون " وقتاً يزيد ألفى ساعة عن الوقت الذى يقضونه فى المدرسة " (ماثيوز : ٣٥٥) فى حين أن الطالب فى اليابان وما عرف بالاتحاد السوفيتى سابقاً يقضى فى المدرسة ستة أيام أسبوعياً إضافة إلى الدروس المسائية.

وكما قلت عن تجربة إسكالنتى فى بداية تناولى لهذا الكتاب، نحن بحاجة إلى قصة رائعة كهذه تتداخل فيها الأرقام مع السرد القصصى البسيط والترجمة الموفقة، لتقدم لنا واحدة من التجارب التعليمية التى تضيف زخماً الى تجربتنا التعليمية. صحيح أنه لا يوجد بيننا مهاجرون من بوليفيا أو أسبانيا أو بورتوريكو كى نتبنى تجربة إسكالنتى، ولكن تجربته مورد جد مرن تطبيقياً، فكم من قرانا فى الريف والبدو نجد فيها نفس الظروف والأسباب التى توجد غالبية من الأميين الذين يطحنهم الفقر والجهل والمرض. وكم من ضواحى ومدناً يسكنها أناس بلامأوى أو مسكن، وإن توفر فهو الصفيح أو الخشب، كما كانت عشش الإنجليز فى ضواحى المدن الإنجليزية بداية القرن العشرين. إن إسكالنتى مطلوب عربياً كما هو مطلوب أمريكياً، فقد حاول تدريس مادة صعبة على ذهن الطالب الأمريكى المرفه، ألا وهى مادة التفاضل والتكامل، وبفضل جهده جاء ترتيب تلك المادة الثالث بعد التاريخ الأمريكى والإنجليزى فى امتحان عام، وكان عدد الطلاب المتقدمين لذلك الامتحان ٨١٠, ٢٦٢ طالباً وذلك فى يونيو ١٩٨٧ (ماثيوز : ٣٨٩). إننا نريد لترجمة هذا الكتاب الفريد من نوعه أن يكون مرجعاً لأصحاب الهمة العالية من مدرسينا الذين يجدون مشقة فى تدريس أى مادة لأبنائنا ـ وبذا تتحقق المعاصرة لما يحدث لدى الآخر. وصحيح أن تجربة إسكالنتى لم تكن وليدة تسعينات هذا القرن. لقد بدأت فى أربعيناته، لكنها لم تظهر فى كتاب إلا عام ١٩٨٨، وسارع مركز الكتب الأردنى إلى ترجمتها إلى العربية ليكون من ورائها بعض المنفعة.

أما آخر كتاب وهو "معاونة الكبار على التعلم" فقد ظهرت طبعته الإنجليزية الأولى عام ١٩٨٦ وطبعته المترجمة الى العربية عام ١٩٩٣. ونحن إذ نستكثر السبع سنوات التى تفصل بين ظهور الكتاب لأول مرة فى أمريكا ونقله إلى العربية فى القاهرة، فإننا نثنى على جهد الترجمة الذى قامت به الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية لإيصالنا بما يدور لدى الآخر فى هذا المجال الذى تحتاجه مجتماتنا فى مراحلها التنموية المختلفة، "كما أن المشرفين على برامج تعليم الكبار ومنسقى هذه البرامج يستطيعون أن يستخدموا الأفكار والأمثلة التى يقدمها الكتاب فى مساعدة المعلمين على تحسين أساليبهم. وفوق هذا فإن معاونة الكبار على التعليم، يعتبر مصدراً لقراءات مفيدة لورش الزمالة الدراسية وللبرامج الجامعية فى تعليم الكبار. ثم إن معالجاته الشاملة، وأمثلته العملية المتنوعة، وأسئلة الحوار به، واستشهاداته فى الكتابات العلمية والعملية سوف تكون مفيدة بصفة خاصة فى مثل هذا السياق" (نوكس : ٨). والكتاب فى فصوله الإثنى عشر يجيب على أسئلة تتعلق بكيفية : معاونة الكبار على التعلم؛ تفهم الدارسين الكبار ؛ تعزيز التعلم من قبل المعلمين؛ تقدير حاجات الدارسين ووضع أهداف البرامج؛ أنشطة التعلم الفعالة، إختيارها وتطبيقها؛ إختيار المواد التعليمية وإعدادها؛ تهيئة ظروف مساندة لعملية التعلم ؛ توفير تفاعلات متحدية بين التعليم والتعلم؛ إستخدام معلومات تقييم البرنامج بصورة فعالة؛ معاونة الكبار على تطبيق ما يتعلمونه؛ توفير موارد إضافية لنجاح البرنامج؛ وأخيراً استراتيجيات لتحسين التدريس.

من استعراض تلك الأمثلة المعاصرة لخمس كتب مترجمة مؤخراً نخلص إلى أن الترجمة يجب أن توظف لتكون جهداً موجهاً لوصلنا بما لدى الآخر - قد يكون الغرب وقد يكون أمريكا أو غيرهما - فى كافة العلوم والمعارف وما هى عليه اليوم ومن خلال ذلك الوصل تتحقق صفة معاصرة ما لدى الآخر الذى أصبح لا يفصلنا عنه سوى أجزاء من الدقيقة هى المدة المستغرقة فى بث الخبر عبر الأقمار الصناعية.

اللغة العربية بين التصعيد والترجمة

صمدت اللغة العربية فى وجه موجات طويلة الأجل من الغزو العسكرى والمعرفى من الدول المجاورة التى لا ينطق أهلها العربية. كما أنها لم تستسلم كما فعلت مثيلاتها من اللغات الأوربية لتأثير الاحتلال والارتماء فى أحضان الاستعمار فترات طويلة. وإذا كانت نسبة لا تقل عن ستين بالمئة من اللغة الإنجليزية قد أخذت عن الفرنسية فإن النسبة تنعدم فى حال اللغة العربية فى مصر التى احتلها الفرنسيون قرابة مئة عام وتبعها الانجليز الذين احتلوها أربعاً وسبعين عاماً. فبقيت العربية فى مصر سليمة لم يدخلها ما دخل الإنجليزية حينما احتلها الفرنسيون لمئتى عام فقط. وصحيح أن اللغة العربية فى المغرب العربى قد دخلتها الفرنسية بشكل ملحوظ، لكن ذلك الغزو اللغوى كان بتأثير مادية اللغة الفرنسية فاستخدمها الناس للتعبير عن أنفسهم أمام الحاكم الفرنسى، ولتداول معاملاتهم وأغراض البيع والشراء. وصحيح أن نسبة من أهل المغرب العربى لا يتكلمون العربية إطلاقاً، لكن مجهودات التعريب والترجمة قد أثمرت كثيراً لدرجة أن أصبح للمغرب العربى مدرسته الرائدة فى مجالى الترجمة والتعريب. لذا لم تكن الفرنسية فى المغرب عوضاً عن العربية، أو بدلاً عنها، فكان حال تلك البلاد كمن يمتلك سيارتين يستخدم الأولى للذهاب الى عمله والثانية عند التنزه مع أسرته.

إن صمود اللغة العربية فى وجه اللغات الأخرى إما تحت تأثير الغزو العسكرى أو المعرفى قد أخذ أشكالاً عدة منها، إختزال اللغة الأجنبية فى العربية وإخضاعها للنماذج اللفظية العربية ومن ثم إدراجها ضمن معجم العربية وإضافة النهايات العربية فى الجمع والتذكير والتأنيث والتثنية والإفراد، فنحن نقول : برنامجٌ ، برنامجاً، برنامجان، برنامجين، وبرامج، ومبرمجة، ومبرمج، وأصل الكلمة Program. ونقول : تلفاز، وتليفزيون وتلفزة، ومتلفز، وأصل الكلمة Television منطوقة فرنسية وانجليزية. وتشمل تلك القائمة فيديو وكاميرا وإستريو وميكروفون وراديو وتمتد لستوعب من صُنوف المأكل والمشرب وذلك كله يندرج تحت ما يعرف فى الانجليزية assimilation. وليس مما يقلق الغيورين على اللغة العربية أن المترجمين لم يجدوا مقابلات لهذه الكلمات. فإن مادية الموقف لها إملاءات معينة، فحين دخل جهاز الفيديو لأول مرة إلى السوق العربية لم يكن

أول من اشتراه مترجماً ليفكر فى بديل له، لذا تداول الناس كلمة فيديو وأصبحت واحدة ليست فى العـربية فقط ولكن فى معظم اللغات الحيـة فى العالم، وإن كان أصلها لاتينياً من vide. وعلى العكس، فإن استيعـاب العربية لمثل تلك الكلمات يعكس قدراً كبيراً من قدرتها على الحركة والنشاط الذى يتحدث عنه الدكتور أحمد علبى فيقول " تحتضن اللغة كل جديد يطرأ على الحياة، واللغة الحية هى التى تفتح صدرها لتلقى هذا الجديد الدائم، سواء نزل ساحتها فى لبوسه الأصلى أو المعدل، أم ارتدى لباس تلك اللغـة المستقلة. وفى الحـالتين فان اللغة، ذات الدينامـية، لا تضيق بأى مصطلح أو لفظ أو عبارة، لأن اللغة وسيلة وليست غاية فى حد ذاتها. إنها وسيلة للإتصال، وللإفهام، وللتواصل الفكرى والوجدانى"(١)

وقد يصطدم هذا القول مع بعض الآراء التى تقول بحتمية ترجمة كل مفردة ترد إلينا وهذا أمر نتمناه لكن تحقـيقه يتزايد صعوبة يوماً بعد يوم فاللغـة لها عرفها وهى " لا تخضع لمشـية هذا أو ذاك، مهـما علت رتبتـه وبلغت سطوته، لأنها، تاريخياً وعبر مئات السنين من التطور الداخلى، اسـتقامت لها صيغ وقوانين ينبغى مراعاتها والأخذ بها. أما التطور فمحتوم ، ولكنه حاصل من داخل اللغة ووفق ما انتهت اليه من آلية"(٢) فنحن أمام وضعية سياسية قبل كل شئ. حيث ارتباط اللغة والشعب الذى يتكلمـها يكون عاملاً مهـماً فى هذه الوضعيـة، وليس الموضوع ما نريد أومانتـمنى، ولكن ما هو صـائر و ما هو واقع وغيـر ذلك يعتبـر تملصاً من مواجهـة ما يصير ،ما يقع حـولنا، لذا "تكون اللغة مهمـة إذا كان الشعب الذى يتكلمها مـهماً سيـاسياً، واقتصـادياً، وتجارياً، واجتماعـياً، وثقافيـاً. فالانجليزية والفرنسية والألمانيـة لغات هامة لكون شعوبها هامـة، ولذا فإنها تدرس على نطاق واسع خارج البلاد التى تستخدمها"(٣).

ومن الثابت أن اللغة العربية ذات حضور وفـاعلية مكناها من تقبل كثير من الوافد عليـها رغم اختلافه لغـوياً عن جذور لغتنا العـربية ومن ثم فقد اسـتوعبت كثيـراً من مستحـدثات العصر اللغوية بسـهولة ويسر وتلك سمة هـامة فى اللغات الحية ذات الحـضور والفاعلية التى "تقبـل كل وافد جديد عليها وتهـضمه، وذلك حسب طبـيعتـها وقوانينهـا المتواترة، لأن لكل لغة خـصائص تكوينيه لامـفر من مراعاتها. ومـا قد يصح على لغة، من حيث النحو وتركـيب الجملة والكلام، قد

لايتلاءم مع "سـانتكس" لغة أخرى، . فكمـا أن لكل إنسان إطلالة متـفردة ولون عـينين ونبـرة صـوت نعرفـه بهـا، هكذا اللغـة تتـمـايز عن غـيرهـا بإيقاعـهـا وجمالايتها"[٤] فصحـيح أن الكلمات ذات الاستخدام الحـديث فى الإنجليزية تمثل مشكلة كبرى عند نقلها إلى العربية. ورغـم حداثتها فـى الانجليزية، مثلاً، الا أنها استطاعت أن تتكيف بشكل واضح لتقابل الاستخدام الحديث فى الإنجليزية. ولكن عند نقل تلك المفردة إلى العـربية تظهر الصعوبة لأن تلك المـفردة لم تمر بمرحلة ما يعرف بالتصعـيد فى اللغة، وهو مايستدعى مرورها بالمرحلة الحـسية المادية وصولاً إلى مرحلة التجريد المعنوى"وكيف لا تكون اللغة فى أصل منشئها، مادية الجذور، وقد انطلقت من المحسوسات المتوافرة فى محـيطها الطبيعى، ثم جدت عليها، مع الزمن، عملية تصاعدية، فتجردت معـانيها وداخلها المجاز وهذا أمر نتبينه بوضوح من خلال الكثير من مفردات لغتنا، ذات النشـأة البدوية. . . وهذه العملية الانتقالية من المحسوس المادى إلى التجريد المعنوى يدعوها المشتغلون باللغة "التصعيد" وهى سمة اللغات المكتملة الراقية"[٥]. فلو لم تكن فى اللاتينيـة كلمة vide ما استطاع متكلمو الإنجليزية إيجاد كلمة فيديو، فقد أضافوا الزائدة O - ، كما فى إستريو Stereo الإغريقية والتى هى الأخرى أُستوعبت إسـتيعاباً كاملاً فى الإنجليزية وساد استخدامها فى عدد من الكلمات الإنجليزية مثل Stereo نفسها وتعنى جهاز استعادة الصوت عن طريق السـماعات المكبرة، وهى زائـدة فى أول الكلمة تعنى "صلب" وهى تشير إلى التمـاسك والصلابة وثلاثية البعد فى تكوين الكلمـات المركبة مثل Stereo Chemistry كيمياء المواد الصلبة، Stereo gram الرسم المجسمى، Stereo Scope الإستريوسكوب وهو أداة بصرية تبدى الصور للعين مجسمة، ونستطيع أن نعد بعد ذلك أربعة وثلاثين كلمـة مركبة كلها تبدأ بهذه الزائدة فى قـاموس وبستر الموسـوعى طبعـة ١٩٨٩. لذا بقيت الكلمـات التى استـعرناها من الانجليـزية أو الفرنسية كما هى لعدم مرورها بالمرحلـة الإنتقالية من المحسوس المادى إلى التجريد المعنوى التى يتكلم عنها الدكـتور عُلَبى على رغم تمتع لغتنا بالديناميكيـة والحضور وذلك مما يمـيزها كلغـة مكتـملة وراقيـة. لذلك أيضاً، فـإنه لاضرر من دخـول المفردات التى هى اخـتصارات acronyms لأول أسماء الهيـئات والمنظمات الدولية مثل : اليـونسكو، واليونيـسيف، والأورنروا، والأوبك، والناتو، ومـا شابهـها.

وتلك مفردات جديدة فى اللغة العربية تضاف إليها فتكسبها حيوية وديمومة على التغيير إلى الأفضل، ذلك أنه "عندما تتوقف لغة عن التغيير فنحن نسميها لغة ميته. فاللغة اللاتينية الكلاسيكية لغة ميتة لأنها لم تتغير طوال مدة قاربت ألفى عام. أما القول بأن لغة ما لها صفة الحيوية الدائمة فإنه يمكن الاستدلال على ذلك بسهولة عند النظر فى مفرداتها. فالكلمات القديمة تموت، الكلمات الموجودة يتغير معناها"[٦].

أما الشكل الثانى من أشكال صمود اللغة العربية فى وجه الغزو المعرفى والعسكرى فقد كان الترجمة. وتمثل ذلك فى جهد دؤوب لنقل مالدى الموجود المعرفى الغربى إلى لغتنا. وكان هذا شغلا شاغلاً لجميع مفكرينا وحتى شعرائنا الذين تزعمهم حافظ ابراهيم (١٨٧٢؟ - ١٩٣٢) عندما كتب تائيته " اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها"[٧] عام ١٩٠٣ والتى بدأها بقوله:

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى　　　وناديت قومى فاحتسبت حياتى

إن اللغة العربية عنده قد "وسعت كتاب الله لفظاً وغاية" وما ضاقت" عن آى به وعظات" فلذا هو يستغرب أن تضيق اليوم عن وصف آلة/ وتنسيق اسماء لمخترعات" وفاخر بعد ذلك بعربيته وخلد صوته فى مسامعنا منبهاً ومحفزاً للهمم أن تترجم وأن تأتى فى لغتنا ما يواكب مخترعات الغرب ومسمياته:

أنا البحر فى أحشائه الدر كامنٌ　　　فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

فياو يحكم أبلى وتبلى محاسنى　　　ومنكم وإن عز الدواء أساتى

الأساة فى قصيدة حافظ ليسوا الأطباء، فذلك معنى أساة فى القاموس، ولكن ما أراده هو المترجمون واللغوين الذين فى يدهم فقط معالجة ما يطرأ على اللغة من جمود يؤدى بها إلى الموت أو البلى كما أشار إلى ذلك بو وكيبل منذ قليل. ويستمر حافظ فيقول:

فلا تكلونى للزمان فإننى　　　أخاف عليكم أن تحين وفاتى

أرى لرجال الغرب عزة ومنعة　　　وكم عزقوم بعز لغات

ولا يغيب عن ذهن دراسى التاريخ الأمريكى نوح وبستر (١٧٨٥ ـ ١٨٤٣) وهو معجمى أمريكى كان من رواد تكوين الوعى الامريكى، ولا يوجد لغوى أمريكى لا يستند إلى آراء وبستر فى كتاباته أو أسانيده. كما أن طبعات وبستر تفوق الحصر : من الموسوعى الى المكتبى إلى الجامعى الى العالمى. وتتعدد طبعاته من الرخيص جداً حتى يتيسر للعامة غير القادرين إلى الذى يتعدى مئات الدولارات.

ولقد كانت نغمة عجز اللغة العربية عن مواكبة المخترعات الحديثة فى العلوم والفنون موجودة منذ القديم وتناولها حافظ فى قصيدته برجاء حزين:

أيطربكم من جانب الغرب ناعب	ينادى بوأدى فى ربيع حياتى
أيهجرنى قومى ـ عفا الله عنهم ـ	إلى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثه الأفرنج كما سرى	لعاب الأفاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة	مشكلة الألوان مختلفات
إلى معشر الكتاب والجمع حاصل	بسطت رجائى بعد بسط شكاتى
فإما حياة تبعث الميت فى البلى	وتنبت فى تلك الرموس رفاتى
وإما ممات لاقيامة بعده	ممات لعمرى لم يقس بممات

إن من بيننا اليوم من يقول بعجز اللغة العربية التام عن مجاراة ما يدور بالخارج وهؤلاء محسوبون علينا، وهم يستندون فى ذلك الى حجج واهية ضعيفة. ولقد سرت تلك "اللوثة" مع لوثة "الفرنجة" ـ أى جعل حياتنا صورة طبق الأصل من حياة الأفرنج، غير العرب ـ وقد بدأت الفرنجة أول ما بدأت باللغة. فليس مهماً إلى أى طبقة ينتسب شخص ما، المهم هو ما يتشدق به مفردات أجنبية كانت يوماً فى مصر من الفرنسية وهى تخص المأكل والملبس وبعض المناحى الثقافية. ولقد كانت الفرنسية فى بعض الأحيان هى جواز المرور إلى الوظائف العليا دون النظر إلى المؤهل أو الخبرة. لذا كانت لغة هؤلاء الناس، كما وصفهم حافظ ، "كثوب ضم سبعين رقعة" ـ خليط من عربية غير مهضومة، وفرنسية مستعارة لتوها.

ومما يوسع أنتشار تلك اللوثة أن بعض لغويينا يرون ضرورة نقاء العربية من اللغات الأجنبية، وهذا في حد فهمهم يضمن خلو العربية من الألفاظ غير العربية. ولو فعلت الانجليزية ذلك لما ضمت إليها الأرقام العربية ولما ضمت اليها علوم الجبر والكيمياء والهندسة والحساب أثناء عملية نقل الموجود العربي. وفي حوار متميز مع مجلةالمستقبل العربي، يتناول المفكر الدكتور غانم هنا، هذه القضية مفنداً مذهب الدعوة إلى نقاء العربية من المصطلح الأجنبي، حيث يقول: "عجز اللغة العربية في تأدية متطلبات العلوم في واقعنا المعاصر، هذه التغطية في عجز علمائنا اللغويين أوفي تعصب بعض العلماء الآخرين، في تطوير اللغة العربية وهي قادرة في منطقها، في صرفها وفي نحوها على استيعاب جميع العلوم، يرى هؤلاء أن الحفاظ على الماضي وعدم إدخال اشتقاقات إليها، مثلاً، تتماشى مع اشتقاقات اللغة العربية، يقتضي التمسك بطهارة ونقاء اللغة العربية، في حين أن الطرف الآخر يلجأ إلى استيراد تلك المفاهيم والمصطلحات من اللغة الأخرى دون أي مبرر. فبدل أن نجابه اللغة العربية ككائن حي نفرض عليها ونستنتج من امكاناتها ما يتلاءم مع متطلبات عصرنا، ننادي بنقاء اللغة العربية أو ننادي باستخدام لغات أوروبية أو لغات أخرى في مجال العلوم. المشكلة ليست إذاً في اللغة العربية، كما أنها ليست مشكلة الإنسان العربي وإنما هي مشكلة أولئك الذين ينصبون أنفسهم حكاماً على حرية وحياة اللغة العربية، كما ينصبون أنفسهم حكاماً على حياة الإنسان"(٨).

إن غيرتنا على اللغة العربية، وغيره حافظ، لاتقل شأناً عن غيرة الإنجليز على لغتهم، فقد كره الانجليز الأمير ألبرت زوج الملكة فيكتوريا التي حكمت بريطانيا في الفترة من ١٨٣٧ إلى ١٩٠١ لكونه ألمانياً واعتبره الانجليز وزوجته عملاء لبروسيا رغم علمنا جميعاً بما قدمت فيكتوريا للتاريخ الإنجليزي علماً وأدباً وثقافة عموماً، وما تزال قلعة ونزور حتى اليوم تقيم متحف التاريخ الدائم احتفالاً بمليكتهم وتخليداً لتاريخها. ولقد كان حدثاً فريداً في القصر أن يتكلم ألبرت الإنجليزية كما يتكلم الألمانية. وكان الأمير ألبرت يكتب يومياته باللغة الألمانية رغم تمكنه بعض الشئ من الإنجليزية. وكان يحيل جميع مخاطباته إلى السكرتارية أو إلى المكلة فيكتوريا نفسها لتنقيحها وتصحيحها (٩). إن إتهام فيكتوريا بالعمالة لبروسيا نبع من استخدام ألبرت للألمانية فقط، رغم ماربطه بفيكتوريا من حب

عارم وزواج. لكن الشعب الغيور رأى فيه وفى الملكة رموز العمالة لأن ألبرت تكلم بلغة أعدائهم. ولم تشفع مشاركات فيكتوريا الجمة لعصر سمى بإسمها - فيما بعد - فى منع لعنات معاصريها من بنى جلدتها.

وليست الترجمة جهداً منفصلاً عن التأليف، إنهما رافدان للمعرفة فى عالمنا العربى أو غيره. فلا توجد عصر ازدهرت فيه الدولة إلا وكانت الترجمة والتاليف جناحى الطائر الملحق. فلقد قام الاتحاد السوفيتى (١٩٤٥ - ١٩٩١) على يد زمرة عسكرين بزعامة ستالين، ولم يصبح قوة نووية تخضع الغرب وأمريكا لما يدور فى الكرملين إلا من خلال الثورة المعرفية، والإنفجار المعرفى الذى وقع فى الاتحاد السوفيتى بعد ذلك. والشاهد، إن الاتحاد السوفيتى أنشا ما يشبه وزارة للترجمة كان همها أن تقوم بترجمة كل مايدور فى انحاء العالم إلى اللغة الروسية - التى اصطبغت بها جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق - سواء كان ذلك مذاعاً أو مكتوباً. وبعد ذلك تحال الترجمات إلى جهات الاختصاص. وتلك الجهات تبدأ من الكى جى بى والكرملين وتنتهى بأصغر معمل لتصنيع الفودكا والكافيار مروراً بمصانع الفراء الروسى الذى يذهب بعقول النساء. إذن فالتأليف والترجمة صنوان لا يفترقان، بل إن الترجمة حافز للتأليف والابتكار. وتجربة الاتحاد السوفيتى لم تكن تعنى وقوفهم عند الترجمة فقط لكنها تطرقت إلى وضع مؤلفات جديدة ونظريات جديدة سبقوا بها الغرب فى رحلات الفضاء وصعود القمر فى وقت واحد مع الأمريكين، وصنع سبعة وعشرين الفاً من الرؤوس النووية التى تعيد العالم - إن اطلقت - إلى عصر حياة الغابة والحجر.

كما أن التأليف والترجمة عند الاستاذ أحمد لطفى السيد (١٨٧٢ - ١٩٦٣) تياران متوازيان لا يجب أن نفصل أحدهما على الآخر، فهو يقول " الترجمة عندى ضرورية فى هذا العصر إلى حد أنى لا أظن أنه تصح المعارضة بينهما وبين التأليف"[١٠]. وحينما سئل "أيهما أولى بالتقديم - عند الترجمة - الآداب أو العلوم؟" أجاب ؛الواقع أن الحركة الأدبية تتقدم الحركة العلمية دائماً . كذلك كانت سنة الأولين. فان الآداب اليونانية قد تقدمت العلم اليونانى. والآداب العربية تقدمت العلم العربى. والنهضة الحديثة فى أوربا بدأت بالآداب ثم ثنت بالعلوم. فلسنا إذن مختارين فى أن نبدأ بأيهما شئنا"[١١]. والمهم عند الاستاذ

أحمد لطفى السيد رحمه الله كما هو بنفس القدر عند أى من الأحياء المهتمين بحركة الترجمة، أن نبدأ الآن وألا نتأخر، " لأن كل يوم من أيام التأخير فى الابتداء يؤخر فى النتيجة لاأياماً فقط، بل سنوات طولاً "(١٢).

يبقى سؤال ذو علاقة فى دراستنا هذه : من أى لغة نترجم إلى العربية؟ ولقد درج الكثيرون على الترجمة من الفرنسية فترة ما حين كانت مصر قريبة من فرنسا فكرياً وثقافياً، وحين كان زمن الاحتلال غير بعيد. كما أن دول المغرب العربى تترجم عن الفرنسية لقربها هى الأخرى من فرنسا فكراً وثقافة، وأيضاً لقصر المسافة بين أيام الاستعمار ونيل الحرية. وفى فترات سابقة كانت حركة الترجمة من التركية والفارسية على أشدها، إضافة إلى اللاتينية واليونانية فى فترات أبعد. ولسنا فى حاجة إلى تكرار ماقاله بو وكايبل فى بداية هذه المقالة من أن اللغة تكون مهمة إذا كان الشعب الذى يتكلمها مهماً سياسياً واقتصادياً وتجارياً واجتماعياً وثقافياً. وعند ترجمة الآداب الأجنبية فنحن لا نستفيد فقط إطلاعاً على مالديهم، أو معرفة بموجودهم فقط، ولكننا نستفيد طرائق التفكير وأنماط الكتابة كما يقول الأستاذ أحمد لطفى السيد " وأهم ما ننتفع به من الآداب الأوربية هو أنماط الكتابة وطرائق ترتيب الفكر. فترجموا من أى لغة شئتم، فما ترجمتموه سيأخذ الطابع العربى بعد ذلك أياً كان مصدره. لكل أمة أدب خاص يأتلفه وتقاليدها القومية واعتقاداتها الدينية وعاداتها وأخلاقها ومركزها الجغرافى "(١٣).

وخلاصة القول، أن اللغة العربية، بخلاف كثير من اللغات الحية الأخرى قد صمدت فى وجه كل محتل لكل أرض عربية، وإن تغيرت لغة التعامل فى بعض الدول العربية إلى لغة المحتل، فإن التعبير عن الأحاسيس والمشاعر وما بين الأفراد كان عربياً كل حسب لهجته. ولم تذب العربية. فى غيرها تحت تأثير الاحتلال، كما أنها لن تذوب إنشاء الله بفعل الانفجار المعلوماتى الذى نشهده هذه الأيام. وقد يرى البعض أن العربية مقصرة عن الوفاء ببعض المتطلبات الحضارية المعاصرة ولكن ذلك ليس بسبب عيب فى العربية. هو بسبب خلل معرفى أصابنا فنتج عنه التكاسل والخمول الذى ينعكس سلباً على لغتنا، وصدق حافظ أذ قال " وكم عز قوم بعز لغات. " لذا، فإن " العربية مقتدرة ، ولكن أهلها فى زمننا، غير مقتدرين، بسبب عوارض التخلف، والتبعية، واستسهال الأمور، وتخلخل الحس

القومى السليم. إن تاريخ العربية من تاريخ العرب أنفسهم، وإن كان هناك، فى يومنا، من مشككين فى أهليتها فإن شكهم يصب، بالتالى، فى قومهم المتفرقين وفى تاريخهم المعاصر المتفسخ»[14].

الهوامش :

١ ـ د. أحمد علبى، " الأساس الإجتماعى للغة "، مجلة العربى الكويتية العدد ٤٠٢، مايو ١٩٩٢، ص ٣١.

٢ ـ المرجع السابق، ص ٣٢.

٣ ـ Albert C. Baugh and Thamas Cable, A Histoy of the English Language (Routeledge and Kegan Paul, 3 rd edn., 1981), p. 3.

٤ ـ العربى ٤٠٢ : ٣١.

٥ ـ المرجع السابق : ٣٤.

٦ ـ Baugh and Cable : 2

٧ ـ أحمد أمين وآخرون، "ديوان حافظ ابراهيم" (بيروت : دار العودة، د. ت، صورة عن طبعة ١٩٣٢(المصرية)، ص ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥.

٨ ـ " تساؤلات حول مشكلات الثقافة العربية : حوار مع غانم هنا"، مجلة المستقبل العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٣١ ، يناير ١٩٩٠، ص ١٤٩ . والدكتور غانم هنا استاذ علم الاجتماع فى جامعة دمشق وسبق له أن قام بالتدريس فى جامعتى جو يتنغن وبريمن فى ألمانيا الغربية. ومن كتبه : "فلسفة الحضارة"، "بناء المجتمع" و"الفلسفة الاجتماعية".

٩ ـ Stanley Weintraub, Victoria : Bioraphy of a Qeen (Unwin,1987), p. 230.

١٠ ـ العربى، العدد ٣٧٢، نوفمبر ١٩٨٩، ص ص ١٠٤ ـ ١٠٥. سبق أن نشر هذا المقال فى مجلة الهلال المصرية عدد ٣ مجلد ٣٣ عام ١٩٢٤ . وأعادت العربى نشرة فى العدد المذكور تحت عنوان "أفكار لا تموت".

١١ ـ المرجع السابق.

١٢ ـ المرجع السابق.

١٣ ـ المرجع السابق.

١٤ ـ العربى، ٤٠٢ : ٣٣.

القويفلى وأدوات النقد(*)

يعقب الاستاذ الدكتور محمد القويفلى فى جريدة الرياض (عدد ٩٧١٩) على مقالتى "وظيفة الترجمة" التى سبق أن نشرت فى نفس الجريدة بعددها ٩٧٠٥. وأجد أن من واجبى أن أرد على ما قاله الدكتور القويفلى، لأن تجاهل الرأى الآخر لا يكون إلا جبناً أو استخفافاً، وحاشاء لله أن يكون أى منهما من صفاتى. وأقسم ردى على تعقيب الدكتور القويفلى إلى قسمين : الأول : وهو شخصى، لن أرد عليه من قريب أو بعيد ولكن سأسرده حسب وروده فى تعقيبه. والثانى : يتعلق بجوهر "وظيفة الترجمة" وقد حصرته فى إحدى عشر نقطة.

فى الجزء الأول، وهو ما يتعلق بشخصى : يلتبس الأمر على الدكتور القويفلى فى تقدير عمرى فهو إما أربعون سنة، أو ستون؛ يستخدم الكلمات غبش عبسى / هواجس / خطل / عند الحديث عن اسلوبى يقول أنه يتسم بالضعف والتداخل / التناقص / الأحكام العاطفية الجاهزة وأننى الجأ أخيراً إلى السخرية. وأن مقالتى فى " غنى عن تناقص يتحشرج فى حلقها قبل أن تقف على قدميها "(الرياض : ٩٧١٩). ويتهكم على مقالتى بعد أن أدخل فيها المسطرة والمقص والمنقلة بقوله "يظهر أن أصحابنا الخواجات لم يكتشفوا بعد تلك المسطرة السحرية؟" (المرجع السابق) وأخيراً، فيما يتعلق بالنقد الشخصى فإننى لا أعرف حكم صيد البحر وخصوصاً السمك منه.

وكما أعلنت فى البداية فإننى لن أرد بكلمة على ما جاء فى الجزء الأول.

ولندخل فى نقاط الجزء الثانى وهى النقاط المتعلقة بجوهر مقالتى وتعقيب الدكتور القويفلى:

١ ـ يظن د. القويفلى خطأ أننى ممن يتخذون من مدارس النقد الأدبى أحد "موقفين : إما رفضها دون أسباب سوى كونها أجنبية، أو تبنيها تبنياً كرنفالياً " (المرجع السابق) واعتقد أنه وضع هذين الخيارين وأنا فى نظره إما رافض لمدارس النقد الأجنبى وهذه لا أرجحها، لكننى أرجح الثانية، وهى أننى أدعو إلى تبنيها تبنياً كرنفالياً. إن المدارس النقدية الأجنبية تنقل إلى عالمنا الثقافى نقلاً أعمى

(*) نشرت بالملحق الثقافى لجريدة الرياض "ثقافة اليوم"، الرياض : عدد ٩٧٢٦، فى ١٩٩٥/٢/٩.

يجعلها تبدو كرنفالية لا أكثر عند استخدامها أو تطبيقها. وهذه المشكلة ناجمة عن عدم فهم من يترجمونها فهماً كاملاً ولا يهضمونها فكرياً هضماً جيداً فيميلون إلى العجمة والإبهام، وأجدنى أتفق تماماً مع ما ذهب إليه الصديق الناقد د. حامد أبو أحمد فى كتابة " نقد الحداثة " عندمنا قشته لهذه القضية الخطيرة. كما أننى أنا قشها فى ترجمة أقوم بها حالياً لكتاب صدر حديثاً وهو " النقد من النظرية إلى التطبيق " (١٩٩٢) حيث يناقش المؤلف كى . إم . نيوتن نفس القضية التى يناقشها د. حامد أبو أحمد لكنها هذه المرة إنجليزية. بعد ذلك لا أظننى من دعاة كرنفالية المدارس النقدية الأجنبية وأجد الشجاعة الأدبية أن أنفى هذه التهمة عن نفسى.

٢ ـ يعتب علىّ الدكتور القويفلى أننى لم أشرح معنى "التحديث"، "المعاصرة" فى مقالتى. واعتقادى أن قراء جريدة الرياض، وخصوصاً ملحق "ثقافة اليوم"، هم الصفوة. وهم يعرفون أكثر مما أعرف عن التحديث والمعاصرة. لذا فقد وجدت أن ذلك إضاعة للوقت والجهد ومساحة المطبوعة فى أن أشرح أبجديات المصطلح النقدى، إلا إذا كان الدكتور القويفلى يتحرى الدقة فى تعريف كل مصطلح من مصطلحات المقالة وكذلك كل إسم يرد فيها. وعليه يجب تخصيص مساحة إضافية للهوامش التى تجعل الكتابة الصحفية كتابة أكاديمية بحته، فالمقال فى ملحق أسبوعى وليس فى دورية.

٣ ـ المماحكة اللفظية فى "مسحة العصر". فقد استخدمت "مسحة العصر" عن قصد لأننى أريد بعض الطموح وليس كله، لأن "كل المعاصر" التى يذهب إليها د. القويفلى ستكون وباستخدام كلماته فى التعقيب مساوية "لوهم التماهى الحضارى" الذى وبكل أسف ـ مستخدماً مقاييسه وأدواته ـ تركه مبهماً فى ذيل رده المفعم بالحرارة والحيوية.

٤ ـ المماحكة اللفظية مرة أخرى : المعاصرة / التحديث. لا أتصور أن تتم عملية المعاصرة دون أن تسبقها عملية تحديث. إن المشكلة فى الترجمة إلى العربية أننا لا نتواصل وليس لدينا خطة ثقافية موحدة. فإذا كان المترجمون فى ١٩٩٥ يترجمون ما صدر هذا العام أو منذ عامين مضيا، فلابد أن آخرين يترجمون ما صدر قبل ذلك التاريخ ـ وهكذا تتواصل الترجمة إلى العربية، كل يترجم فى وقته ما يصدر فى وقته، أما أن نترجم فى ١٩٩٥ ما صدر فى ١٩٦١ فذلك أمر يستحق

التوقف والتأمل. وهل تأكد لنا أن "بلاغة الفن القصصى" لم يترجم فى سوريا أو لبنان أو مصر. وأرجو ألا ينزعج د. القويفلى، فلى مقالة فى "عكاظ" ناقشت هذه القضية فقد ترجمت رواية "١٩٨٤" لجورج أورويل (١٩٠٣ - ١٩٥٠) فى النصف الثانى من عام ١٩٨٣، وظهرت فى السوق المصرى بداية عام ١٩٨٤م. وكانت نفس الرواية تترجم فى السعودية فى عام ١٩٨٣ أيضاً. وقد علق د. رمسيس عوض الذى اشرف على ترجمتها فى مصر، أنها تترجم لأول مرة إلى العربية. كما أعلن الاستاذ عزيز ضياء أن هذه القصة ترى النور لأول مرة فى عالمنا العربى ويستغرب لماذا لم تترجم من قبل. ولم يدر رمسيس عوض بترجمة عزيز ضياء، ولا عزيز ضياء درى بترجمة رمسيس عوض لافى اثناء الترجمة ولا بعدها وربما إلى اليوم (عكاظ : ١٠١١٧). ،ثبت من البحث أن "١٩٨٤" قد ترجمت قبل ذلك التاريخ بثلاثين عاماً فى سوريا لأول مرة إلى العربية، ولم يدر عنها رمسيس عوض ولا عزيز ضياء شيئاً. والفاجعة أن النص ترجم فى سوريا نفسها مرة ثانية عام ١٩٨٦ وأعلن المترجم السورى أنه يقدم للقارئ العربى "١٩٨٤" مترجمة إلى العربية - وبالطبع كما فعل رمسيس عوض وعزيز ضياء - لأول مرة.

٥ - يبتسر الدكتور القويفلى حكمى على كتاب "التميز : الموهبة والقيادة" ويزج به كحكم نهائى على كتاب "بلاغة الفن القصصى". وكان أملى فى حمية المعركة التى بدأها ألا يوقع نفسه فى هذا الخطأ. وما قصدته بعيداً عن الفرضيات والسفسطات أنه بأى حال من الأحوال لن تكون مشاكل الشباب الأمريكى عام ١٩٦١ هى نفس مشاكل الشباب المصرى عام ١٩٩١ السنة التى ترجم فيها الكتاب. وقد كان رأيى هذا مخالفاً لرأى المترجم د. محمود رضوان فى مقدمة "التميز" حيث يقول: "... أتراني أقرأ كتاباً عن المجتمع المصرى كتب باللغة الإنجليزية؛ قد يبدو هذا القول غريباً، ولكنها الحيقيقة التى لا مبالغة فيها، فالقضايا والمشكلات الاجتماعية والادارية والتعليمية المثارة وكلها مستقاة من المجتمع الأمريكى - هى هى - تقريباً القضايا والمشكلات التى نواجهها فى مجتمعنا المصرى" (رضوان : ١٣) ومازلت أصر أن رأى د. رضوان يعتبر حكماً نهائياً بأن نكون خلف العالم الأول حتى فى مشاكله وليس لنا الحق فى معاصرته حتى فى خيبته.

٦ ـ لا أرى ماذا أسمى هذا؟ فى مـقالتى تقرأ "إلا أن كتاب مـعاونة الكبار على التعلم : تخطيط البـرامج وتطبيقها وإدارتهـا، صدرت طبعتـه الإنجليزية عام ١٩٨٦ وترجم إلى العربية فى عام ١٩٩٣، أى أن سبع سنوات فصلت بين الطبعة الإنجليـزية والطبع العربيـة ومن ثم فإنه لاتوجـد مدة زمنيـة كبـيرة تفـصلنا عنهم "(الرياض : ٩٧٠٥) وأرجوا أن ينتبه القارئ إلى الكلمـات التى تحتها خط. أقول لا أدرى كيف تأتى للدكتـور القويفلى أن ينقلها كما يلى: "نسـتكثر السبع سنوات التى تفصل بين ظهـور الكتاب ونقله إلى العربيـة" (الرياض : ٩٧١٩). أذكر بأن الموقف السـاخن الـذى خلقــه د. القــويلفى هو الـذى جـعـله لايتـأتى فى الإقتطاف. وحـيث إنه يدافع عن وجهـة نظر معينة فـإن عليه تحـرى الدقة فى نقل كلمات لم يمـضى على نشرها ـ وقت الرد ـ أسبوعـان. ومن هذه النقطة الساخنة الملتهبة يبنى الـدكتور القويفلى جميع أحكامه، فى بقـية رده، على خطأ فادح فى الحكم على مقالتى وعلى شخصياً، لأن مابعد هذه الفقرة هو نتيجة لهذه الفرضية. وزيادة على ذلك يسبق هذا الإعـلان الخاطئ إستنباط أكثـر خطأ حيث يقول : "إن (فرضية؛؛) المقالة ـ مقالتى ـ هى أنه لا ينبغى ألا نترجم من المؤلفات سوى الكتب (الساخنة) التى لم يمض علـى خروجها من المطابع سـوى (سبع سنوات، أو أقل من سبع سنوات)، و(السـبع كثير) يقول الدكـتور الفاضل (نستكثـر السبع سنوات التى تفصل بين ظهو الكتـاب ونقله إلى العربية، وذلك تعقيبـاً على ملاحظته على كتـاب (معـاونة الكبـار على التعلم ظهـر فى ١٩٨٦ وترجم ١٩٩٣" (الرياض : ٩٧١٩) وتأسيـساً على ذلك فـإن حكم القويفلى يكون "حكمـاً عاطفيـاً جاهزاً ـ بنص حكمه على مقالى.

ويستمر د. القـويفلى مستطرداً فى هذا الخطأ فيقول : "إن سـألنا : ما معنى الكتب المعاصـرة؟ جاء الجـواب : أى تلك التى لم يمض على صدورها أكـثر من سبع سـنوات. وإن سألنا لم ينبـغى أن نقتـصر على ترجـمتـها؟ جاء الـرد لأنها معاصرة، وإن استـفهمنا عن الذى يعطيها قيمة؟ ردت المقالة كـونها معاصرة، وإن قلنا مايدرينا أنها معاصرة فعلاً؟ أتى الجواب لأنه لم يمض على صدورها أكثر من سبع سنوات" (المرجع السابق).

هذا مونولوج شكسبيرى استنطقنى إياه د. القويفلى ليجسم صورة التخبط - لدى - والهواجس والغبش والخطل والرأى المحلق والتداخل والتناقص والتحشرج - لكنه، والحكم للقارئ، نابع من خطأ فى الاستنتاج، وإلا فماذا يكون؟

٧ - بقية المقال - رد القويفلى - كلمة كلمة تدعيم ومساندة للفكرة الرئيسية وهى أن ما نترجمه لا يجب أن يزيد عمره عن سبع سنوات - حسبما استنطقنى د. القويفلى. لذا فهو يخترع المسطرة والمقص وهى أدوات هندسية على حد علمى وليست أدوات نقدية. ورغم خلفيتى العلمية المتواضعة إلا أننى لا أدرى كيف نقرأ "قياس سبع سنوات" إلا أن تكون تلك المسطرة عيسوية صنعتها بنفسى لقياس عمر الترجمات كما يرى الدكتور الفاضل.

٨ - أطلب من الدكتور القويفلى أن يقتطف من مقالى ما يبرر قوله "عندما أتى الدكتور الفاضل إلى كتاب "بلاغة الفن القصصى" حكم عليه بسخرية لا تخفى بأن ترجمته ليست سوى تعلق بماض زال بزوال أهله، وكاد أستاذنا الفاضل أن يحيى تصنيفاً مات بعد ١٩٦٧، ليحكم (برجعيتى) أما مترجموا الكتاب فرجعيتهما أعظم؛ هذا كله تأسيس على تاريخ صدور الكتاب (١٩٦١) فحسب، أى أن الدكتور الفاضل لم يشر سوى إلى عنوان الكتاب وتاريخ صدوره وعام ترجمته". (المرجع السابق) مرة ثانية أريد دليلاً ولوبكلمة واحدة يضعها الدكتور القويفلى بين قوسين واضحين من كلامى، وإلا فإن ما حوته علامات التنصيص فى هذه الفقرة من كلامه ستكون مقدمة جيدة فى علم المنطق التوليدى.

٩ - يوقعنى د. القويفلى فى خطأ سبقه ولحقه شرك متدرج من الحديث عن النقد وحركته الدائرية وليست المرحلية، حيث يقول ؛أما مايحويهالكتاب - "بلاغة الفن القصصى"- فلم يحظ من الدكتور الفاضل ولو بإشارة تيمية، أو كلمة مفردة. وكان المتوقع لسلامة إجراء إختيار (الفرضية!!) على الأقل - أن يقارن محتوى الكتاب بواقع النقد الآن، ليحكم بقدمه وأن الترحيب بترجمته بعد كل هذه السنين ليس سوى "مفارقة" على حد تعبيره". (المرجع السابق) إن هذه إتهامات باطلة، بدءاً بجهلى بحركة التطور الأدبى وإنتهاءاً بأننى لم أعرف عن الكتاب سوى عنوانه

وتاريخ صدوره مروراً بعدم الإشارة ولوبكلمة يتيمة إلى محتواه، وإن لم تكن كذلك فهى نصر عظيم للدكتور القويفلى على شخص ضعيف مثلى، ويحق فى صاحب هذه الانتصارات ما قيل فى حق أبى سفانة "كان مظفراً، إذا قاتل غلب. وإذا غنم أنهب. وإذا سئل وهب. وإذا ضرب بالقداح فاز. وإذا سابق سبق. وإذا أسر أطلق. وكان يقسم بالله ألا يقتل واحد أمه". (لويس شيخو : ٩٩) لقد قتلنى د. القويفلى ثلاث قتلات متتاليات وقد يكون عذره أننى لست واحد أمى.

ولأطمئن الدكتور القويفلى فإن تطور النقد أمر لانجادل فيه كما أن طبيعة تدريسه هى كذلك فعلى جميع طلاب اللغةالإنجليزية ـ فى حد علمى ـ أن يدرسوا النقد الأدبى تدريجياً حسب سنوات دراستهم إبتداءً من أرسطو وصولاً إلى المعاصرين الأحياء. وأجدنى أدخل فى التهمة الثانية مباشرة، لأقول أننى ـ وآسف لهذا الحديث البيوغرافى المطول ـ قد درست كغيرى من ألاف الطلاب النقد فى حركته التى يسميها ويعينها الدكتور القويفلى حتى وصلت إلى ليفيز وكان استاذى وقتها من أوائل خريجى جامعة لندن الذين حصلوا على الدكتوراه فى مدرسة ليفيز النقدية إبان حياته. أما عدم علمى عن "بلاغة الفن القصصى" سوى عنوانه فكيف توصل إليه د. القويفلى. أقول أن وين بوث كان ضمن أعلام مقرر النقد الذين درستهم إبان التلمذة بالجامعة وليس أمامى دليل سوى دفاترى أيامها وأظننى أحتفظ بها حتى اليوم. أما ثالثة الأثافى : أننى لم أتعرض لمحتوى الكتاب، فقد كانت طبيعة المقال تفرض ذلك. ولم أطعن لافى الكتاب ولافى المترجمين ولافى المؤلف ولست فى حاجة لتأكيد ذلك. وليطمئن الدكتور القويفلى فإننى قرأت الترجمة ووجدت أنها لاتنقل مفردات النص الإنجليزى إلى اللغة العربية فى لغة سهلة سلسلة جزلة لكنها أيضاً تنقل روح ذلك النص كما تحوم حوله فى الإنجليزية وقد يكون ذلك موضوع مقال لاحق أظهر فيه أن ترجمة "بلاغة الفن القصصى" واحدة من الترجمات الفذة التى لابد أن يتداولها قارئ العربية. فالجهد الذى بذله فيه الدكتور عرادات والدكتور الغامدى جهد عظيم يشكران عليه، ولا يستطيع إنسان مهما أوتى من شأن أن يقلل منه، إلا متغرض، أو صاحب رأى مسبق. إن "بلاغة الفن القصصى" حدث ترجمى هائل، ولوصدر منذ ثلاثين عاماً لكان دويه عربياً كدوى الكتاب فى اللغة الإنجليزية التى كتب بها. وعلى أية حال فإن

العشرات من الكتب مضى على ظهورها عشرات السنين ولم تترجم، وسأفرح بترجمتها كما فرحت بترجمة "بلاغة الفن القصصى". بعد ذلك أرى أن المسطرة والمقص والمنقلة ليسوا سوى أدوات أخطأت طريقها إلى مجال النقد.

١٠ ـ حين طرحت سؤالى : هل يقبل د. القويفلى من طالب النقد الأدبى فى نهاية ١٩٩٤ أن يستشهد بآراء إليوت ورانسوم؟ نسيت أن أضيف كلمة "فقط". وبذا يتغير معنى السؤال تماماً. فلو اعتبرنا أن ما يصلنا من النقد فى أوروبا وأمريكا يتوقف عند الستينات لكان ذلك غير لائق. أتفق مع د. القويفلى أن الاستشهاد يتكيف حسب النص وحسب المكان والزمان وحسب الحاجة. ولكن مرة أخرى ألا يرى الدكتور القويفلى أن الاستشهاد بما فى حفريات الفراعنة... أوجدران الكهوف" أمر غريب فى حين أن نصف أساتذة النقد واللغات فى بلادنا من أتباع البنيوية وما بعدها وأن ملاحقة المدارس النقدية ومحاولة حصرها "يؤدى إلى الإصابة بالانهيار العصبى" كما يقول كى. إم. نيوتن، وذلك لكثرتها وعمليات تولدها التى لا تتوقف. وبالطبع ليست هناك نصوص مقدسه وأخرى غير مقدسة. المهم هو مايفيد موجودنا النقدى.

١١ ـ يعتبر الدكتور القويفلى أن التماهى الحضارى وهم. ذلك أنه يضع على لسانى ـ مرة أخرى ـ أننى أفترض أن "بامكاننا أن نساوق الغرب بمجرد ترجمة كتب صدرت عنهم حديثاً؛ لنحقق على حدتعبير الكاتب ـ "معاصرة مماثلة". (الرياض : ٩٧١٩) لم أقل أبداً أن عملية المعاصرة أو المساوقة تتحقق بكتاب أو كتابين، ولم أنته إلى أن الكتب الخمسة التى سقتها كأمثلة حققت المعاصرة، والإ فإن ذلك يعتبر طوباوية أخدع بها نفسى والآخرين. لكننى أدعو أن تكون الترجمة عملاً أساسياً فى حياتنا وأن تكون جهداً وطنياً منظماً وأن تكون هناك هيئات ترجمة تستخدم مالدى الآخرين من قدرات ترجمية عظيمة. ولسنا شواذاً فى هذا ولن نكون. فاليابان بنت حضارتها العلمية على الترجمة من الغرب ومن أمريكا. وقد كانت مصر أيام محمد على مثلاً يحتذى فى الحضارة فى نظر اليابانيين، إلا أن اليابانيين تحركوا ونحن توقفنا. وماحادثة التجسس على مصانع

الساعات السويسرية من قبل اليابانين إلا دليل على أن الترجمة خطوة نحو الرقى العلمى. ولا أمل تكرار تجربة روسية فريدة فى الترجمة، فقد كان لديهم ـ إبان وجود الاتحاد السوفيتى ـ شئ يشبه وزارة الترجمة، تقوم على ترجمة كل ما يصدر من مطبوعات كتباً كانت أو مجلات أو جرائد يقومون بترجمتها إلى الروسية والاستفادة منها. وكان لذلك الجهد أن حول الاتحاد السوفيتى من بلاد زراعية ـ فى غضون عشرين سنة ـ إلى دولة تغزو الفضاء وتمتلك بعدها سبعاً وعشرين ألف رأس نووى كانت أساس مرحلة الردع النووى التى واكبت الحرب الباردة. إن الترجمة تستطيع أن تفعل الكثير فى حياتنا، لكن نظرتنا إليها وتناولنا لها ما يزلان قاصرين عن تأطيرها وتوظيفها، ولذا فإن للدكتور القويفلى الحق فى أن يستغرب قولى بأن الترجمة تحقق التحديث والمعاصرة أو التساوق كما يقول هو. وإننى سعيد سعادة عظيمة بتوجه كلية اللغات والترجمة، بجامعة الملك سعود نحو إنشاء هيئة وطنية للترجمة يكون هدفها تأطير عملية الترجمة وتقنينها وتأصيل وسائلها وأساليبها، وإعطائها صفة العمل المنظم لا الفردى المبعثر.

وبعد، فإن هذا التعقيب منى على رد الدكتور القويفلى وإن كان فيه اختلاف وتعارض، إلا أنه لا يفسد للود قضية. فالهدف عندى وعنده واحد، وهو محاولة التقدم نحو المستقبل بخطى قوية ثابتة ومواجهة العصر بأدواته وبحضارته العددية المفزعة.

المراجع :

١ ـ د. حامد أبو أحمد، "نقد الحداثة" (الرياض : مؤسسة اليمامة الصحفية، كتاب الرياض(٨) ، ١٩٩٤).

٢ ـ جون و. جاردنر، "التميز : الموهبة والقيادة"، ترجمة د. محمد محمود رضوان (القاهرة : الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٨٩).

٣ ـ لويس شيخو، "شعراء النصرانية قبل الإسلام" (بيروت : دار المشرق، ١٩٦٧).

٤ ـ K. M. Newton, Therory into Practice : A Reader in Modern Literary Criticism (Macmillan, 1992).

الترجمة الإبداعية (*)

كثيراً مانتحدث عن وظيفة الترجمة فى حياتنا الثقافية؛ فمن قائل إن وظيفتها هى نقل مالدى الآخر إلى موجودنا الثقافى، ومن قائل إن هدفها المماهاة مع الآخر، ومن قائل إنها تطلعنا على مالدى الآخر من جديد نتفرج عليه فقط، ومن قائل إن الترجمة ترف وعلينا أن نعود إلى الأصل الأجنبى وأن ننسى موضوع الترجمة جملة وتفصيلاً. إلا أننا فى هذا المقال، نتحدث عن وظيفة تختلف بعض الشئ عن تلك الوظائف السابقة ألا وهى وظيفة الترجمة بوصفها حافزاً للإبداع الحضارى. ولقد دأب البعض على ربط الإبداع بأمور الأدب والفنون فقط، إلا أن ماندرسه هنا - إضافة إلى الفنون والآداب - دور الترجمة فى العلوم والمعارف التى أثرت وأضافت إلى العلوم البحتة بنفس القدر الذى أثرت وأضافت فيه إلى الفنون والآداب.

ولقد شعر الإنسان بأهمية الترجمة عن الآخر، فأخذ يجيل بصره فى موجوده الثقافى. وكانت مشكلة الاختيار من الأمور الصعاب التى تواجه المترجمين. فمنذ "تاريخ الترجمة، نعرف أن الاختيار فى معظم الحالات، خصوصاً ما يقوم به المترجمون الإبداعيون، يتحدد بصفة رئيسية بالحاجة الداخلية لأدب المتلقى، وبقدرته على استيعاب الظاهرية الأدبية لأدب قومىّ اخر، أو عمل، إلخ. وكذا يتحدد بقدرته على التفاعل بطريقة محددة (تساوقاً أو تبايناً) مع السمات الجمالية لأدب المتلقى"(1). والمترجم الإبداعى هنا هو الذى ينقل عملاً من لغة الآخر إلى لغته فتكون نتيجة ذلك النقل عملاً إبداعياً فى اللغة المنقول إليها، وقد تناقش دراسات الأدب المقارن ذلك الموضوع بإسهاب أكثر مما نحن بصدده هنا. فمثلاً كان لتناول فرانسوا فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) لمسرحيات وليم شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦) ونقده اللاذع إياه أثر كبير فى معرفة أوروبا بذلك العلم الإنجليزى الكبير الذى كانت تجهله، وحيث إن اللغة الفرنسية كانت لغة ثقافة العصر، فقد اهتم الأوروبيون بما كتب فولتير وأخذوا يتعرفون شكسبير. وإن كان

(*) أجيزت للنشر فى مجلة "الفيصل"، عدد جمادى الأولى ١٤١٦ هـ الموافق أكتوبر ١٩٩٥ م

"رسائل فلسفيـة" يمثل عرضاً للثقافة الإنجليزية كـما رآها عند زيارته التى قام بها إلى انجلتــرا فى المدة من ١٧٢٦ إلى ١٧٢٩ [٢] فإن مـا يعنينا هو مسـاهمة ذلك الكتـاب فى خروج شكـسبـير من دائـرته الإنجليزية المحلـية إلى دائرته الأوروبيـة الأوسع. وخلاصة القول إن "شكسبيـر لم يلق نجاحاً لدى معاصرية من الأوروبين ولا لدى من جاء بعـدهم، بقدر ما لاقى فى القـرن الثامن عشـر بعد أن اكتشـفه فولتير[٣]. وثمة مثال آخر نجده فى ترجمـة "رباعيات الخيام" إلى اللغة الإنجليزية. فلم يكن متيسراً لتلك الرباعيات أن تصل إلى الثـقافة الأوروبية لو بقيت محصورة فى فارسيتها. إلا أنه عندما قام إدوارد فتيز جيرالد (١٨٠٩ ـ ١٨٨٣) بترجمتها فى أربع طبعات فى المدة من ١٨٥٩ إلى ١٨٧٩ حَوَتْ كل واحـدة مئة بيت وواحداً[٤] أمكن للإنجليز أن يـعرفوا تلك الرباعـيات وعند مقـارنة ترجمة فـيتز جـيرالد إلى الإنجليزية مع ترجمة الشاعر أحمد رامى إلى العربية نجد أن المحافظة على المعنى فى الترجمتين كبيرة جداً، ومعلوم أن الاثنين ترجماها عن الفارسية. وإننى اختلف مع الأستاذ الدكتور مـحمد غنيمى فى أن فيتزجيـرالد كان يعبر عن "أفكاره هو وعن روح القرن التاسع عـشر الإنجليزى والأوربى" وإن كنت أتفق مـعه فى فضل هذه الترجمة والتى بسببـها "راجت هذه الرباعيات فى آداب أوروبا وأمريكا"[٥] وليس أدل على الاعتـراف بقيـمة هذه الرباعيـات من إدخالهـا ضمن مخـتارات الشـعر الإنجليزى الخالدة فى كتاب The English Parnassus

ونحن لا نقر أن جميع الأعمال المترجمة، على الإطلاق، لها وظيفة إبداعية فى جميع الأحوال. فـهناك أعمال تترجم إلى العربية مـثلاً، ولا يكون لها أى أثر يذكر. إن الخواص النوعية وكذا الخـواص الكمية لأدب المتلقى والتى تشتمل قدرته على تقبل الوارد واسـتيعابه، وكـذا دينامية ذلك الأدب، والحالة الحـضارية لأدب المتلقى ومفادها : هل هو قادر على التعامل مع الآخر "تساوقاً أو تبايناً" كما يقول دورسين، وكـذا القدرة الاستيـعابية لأدب المتلقـى بمعنى هل إن ذلك الأدب تشبع بمالديه من مـخزون فكرى ولم يعد قـادراً على استـيعاب المـزيد من الآخر؟ أم إن مداراته ماتزال تحمل إلكتروناً مفرداً لديه القدرة للتزاوج مع وارد عليه من الخارج، وينتج عن ذلك مـا اصطلحنا على تسمـيتـه بالإبداع الذى تكون الترجـمة حـافزه

الأول؟ وكانت تلك الخواص - كما سنرى بعد قليل - فى أوج إيجابيتها فى العصرين العباسيين الأول والثانى. إلا أنه تبقى الحقيقة القائمة أن " . . . حالات غير قليلة تلك التى تتحول فيها الترجمة - إما بفضل اختيار النص أو لطريقة الآداء، فى سياق الأدب المتلقى - إلى ظاهرة غير مواتيه التطور وغير مستجيبة للاتجاهات التطبيقية فى أدب المتلقى أو إنها مفارقة تاريخية فى مرحلة التطور. وفى هذه الحالة فهى تميل لأن تكون تعبيراً خارجياً عن العلاقة، وكذا تكون فرص إظهارها للتلقى المتبادل للأدب ضئيلة جداً، وحتى لا وجود لها "(٦).

ويرى دورسين أن الوظيفة العلاقية للترجمة مسئولة مسؤولية مباشرة فى أن يصبح الأدب المترجم جزءاً عضوياً من أدب المتلقى، وهى من وجهة نظرما تكون مسؤولة عن تهميش تلك الترجمات ومن ثم وضعها فى مجموع ما طبع بالحروف العربية فقط. ويشترط دورسين - ابتداءاً - حالة خاصة لاستيعاب تلك الأعمال المترجمة فى أدب المتلقى، هى أقرب ما تكون إلى حالة الكائن الحى عند مروره بفترة الخصوبة التناسلية. تلك الحالة هى تنامى الأدب، أى أن يكون فى مرحلة التطور والنمو، لا مرحلة الجمود أو التشبع أو الانكفاء على الذات، وهوما أشرنا إليه منذ قليل بأحادية أحد المدارات الإلكترونية القادرة على الاتحاد مع الكترون وارد من الخارج، والتى بموجبها ؛يصبح الأدب المترجم جزءاً عضوياً من النسق المتطور لأدب، المتلقى وبطريقة محددة يقلل من مقاومة الأدب المتلقى للتطور، ومن ثم يمارس الأدب المترجم بشكل صارخ ما يسمى بالوظيفة العلاقية للترجمة "(٧). وإلى جانب ذلك، يناقش دورسين إشكالية أخرى لاتقل أهمية عن "الوظيفة العلاقية للترجمة" ألا وهى "الوظيفية الأدبية والتاريخية للترجمة". وعلاقة ذلك بالخطوات الإجرائية للترجمة، وورود كل ذلك فى الجانب التجريبى الترجمى. والجانب التجريبى تحكمه أربعة أسئلة هامة هى: ماذا نترجم؟ ماذا ننقل بحروف لغتنا من اللغات الأخرى transliterate ؟ ماذا نستبدل substitute ؟ وأخيراً ماذا نهائى adapt ؟ ولقد أصبحت تلك الأسئلة مكونات أساسية لنظرية الترجمة التى كان نايدا ضمن من تكلموا عليها عام ١٩٦٤ والتى تعتمد على "إنجازات العلوم اللغوية والأنثروبولوجيا وعلم النفس، ويحدد العلاقة بين النص

الأصلى وترجمته من خلال نظريات المعنى والاتصال communication والعلاقات الاجتماعية بين الفئات. ففى إطار نظرية الاتصال يرى يوجين نايدا فى الترجمة عملية لغوية تعتمد على فك رموز decoding النص الأصلى وإعادة تشغيرها recoding فالمترجم يتلقى الرسالة ويقوم بتحليل مكوناتها الأساسية ثم ينقلها إلى لغة الترجمة من خلال عملية إعادة بنائها فى لغة الترجمة للتطابق مع النص الأصلى"[٨]. وبذا نكون قد وصلنا إلى الجانب المعيارى عند دورسين الذى يسأل: هل الترجمة ضمن علم اللسانيات أم إنها ضمن الدراسات الأدبية؟ حيث ينتهى دورسين إلى أن "الاهتمام بالجانب التجريبى والجانب المعيارى لعمل المترجم تحدده أيضاً إشكالية أخرى مهمة، والتى نسميها الوظيفية الأدبية والتاريخية للترجمة والخطوات الإجرائية للترجمة"[٩]. لقد كانت دراسة دورسين تنصب على الترجمة فى الدول الاشتراكية السابقة وهى تجربة فريدة من نوعها، قامت أسبانيا مؤخراً بتقليد بعض منها وذلك بإحياء دار طليطله للترجمة [١٠]

ويطرح دورسين قضية هامة للمناقشة، تلك القضية تخص التأثير الثقافى للنص فى أصله، وكذا تأثيره فى النص المترجم، وهنا يناقش أطروحه كى. هوداليك التى تقول :إن للترجمة والأصل قيماً ثقافية نافذة كلاهما مختلف فيها ومستقل عن الآخر"[١١] وهو يرى أن عكس هذه الأطروحه يأتى عند تطبيق "المقاييس اللغوية البحته"[١٢] عند دراستنا للعمل المترجم، وهو بهذا يتفق مع د. فوزى عطيه عند استعراضه لنظرية يوجين نايدا فى تطابق النصين حيث لابد من وجود أحكام عامة توضع فى الإعتبار عند تناول تأثير الترجمة والنص الأصلى. "فلا يمكن القول بوجود لغتين متطابقتين من حيث المعنى الذى تجسده الرموز أو من حيث أصول وقواعد تنظيم هذه الرموز فى سلاسل كلامية. ويضيف يوجين نايدا إلى أحكام التطابق هذه عناصر جديدة ترتبط بخصائص الأداء فى الترجمة هى : طبيعة الرسالة، قصد مؤلف الرسالة، ومن ثم قصد المترجم، نوعية متلقى الرسالة، وتؤدى هذه العناصر دوراً كبيراً فى تحديد نوع الترجمة وما يقتضيه ذلك من ضرورة الاختيار السليم للمقابلات المتطابقة أثناء الترجمة. فالرسائل الكلامية تختلف بعضها عن بعض وفق ظهور الشكل أو المضمون فى النص. وإذا كان من

غيـر الممكن الفصل بين الشكل والمضـمون، إلا أن المضمـون فى بعض النصوص يبرز كهدف أسـاسى للنص، وفى البعض الآخر نجد التركيـز على الشكل واضحاً إلى حد بعيـد (كما هو الحال بالنسبة لعنـصر الشكل فى الشعر). أما فيـما يتعلق بالقصـد، فمن المفروض أن يتـفق قصد المتـرجم وقصد مـؤلف الرسالة، أو على الأقل ألا يختلفـا. وقد يكون القصد نقـل معلومات عن المضمـون والشكل، وقد يكون الإعلام مع خلق تأثيـر انفعالى لدى القـارئ أو السامع، وقد يكون القـصد إثارة نوع من السلـوك لدى القـارئ أو السـامع، الأمـر الذى يدعـو المتـرجم إلى إستخدام الأدوات الكفيلة بتحقيق الغرض من الاتصال. ثم يتطرق يوجين نايدا إلى العنصر المكمل لعـملية الاتصال من خلال التـرجمة، فيـشير إلى اختـلاف نوعية المتلقى من حيث القدرة على الفهم وإمكانية الاهتمام بالرسالة"[١٣].

وقد شهد العصر العباسى الأول وكذلك العصـر العباسىّ الثانى تطبيقاً عملياً متـميزاً للـتلقى المتميـز الذى كان له الأثر الأكـبر فى إعادة التـرجمـة إلى اللغات الأجنبية ما نُقِلَ سابقاً إلى اللغة العربية. ففى العصر العباسى الأول ترجم البرامكة الثقافـة الفارسية إلى العـربية، ومن بين ما نقلوا كتـاب "هزار أفسانة" وهو أصل "ألف ليلة وليلة". وترجم أبان بـن عبد الحميد بن لاحق (ت : ٢٠٠هـ) كتاب "كليلة ودمـنة" إلى الشـعـر وأهداه إلى جـعـفـر بن يحـيى الـبـرمكى (ت : ١٨٧هـ)[١٤]". وبدأ النثـر الفـارسى الفنى بتـرجمـة كـتـاب "كليلة ودمنة" إلى الفارسية الحديثـة فترجمة إليها أبو المعالى نصـر الله بن محمد"[١٥] وهذا يوضح مدى التـفاعل الترجـمى ودوره فى عملية الإبداع التى لا تتـوقف حركتـها جيـئة وذهاباً بين الشعوب عند اتصـالها ثقافياً. وقد ظهـر أثر ترجمة "ألف ليلة وليلة" ظهوراً لافتاً فى قصة عـبد الرحمن جبير "شهر زاد ملكة" التى استـعان فيها أيضاً بكليلة ودمنة "ليكتب قـصة الصراع العنيف الذى يدور فى كل عصـر حول طرائق الحكم"[١٦] وإلى عصر صـدور "تراث الإسلام"[١٧] جاوزت ترجمات "الليالى" فى أوربا الثـلاثمئة، مـنها ثلاثون بالفـرنسيـة ومثلهـا بالإنجليزية، وصـارت أحد مكونات الرومانسـية التى أخـذ بها البورجـوازيون قبل أن تصبح مـذهباً فلسفـياً، ويستـجيب أدبها لـهذه الفلسفـة، أو فلنقل أدق ما يمـثلها عاطفـياً[١٨] وقد كـان

المستشرق الفرنسى أنطوان جالان (١٦٤٦ ـ ١٧١٥) أول من ترجم "ألف ليلة وليلة" إلى الفرنسية "ومنها ترجمت إلى الإنجليزية وغيرها من لغات أوربا فى الفترة من ١٧٠٤ إلى ١٧١٢"[١٩]. وقد ترجمت إلى الإنجليزية تسع عشره مرة حتى نهاية القرن الثامن عشر وذلك من واقع المخطوطات الموجودة فى المتحف البريطانى.

وتظهر الوظيفة العلاقية الإبداعية لألف ليلة وليلة فى فعلها فى الخيال العربى ثم فعلها فى الخيال الأوروبى عندما نقلب إلى اللغات الأوروبية. ورغم بعض عمليات التحريف والتصرف فإن النص المترجم يبقى إبداعاً فى حد ذاته[٢٠] ، إن اختلف الأكاديميون والفلكلوريون فى تصنيف "ألف ليلة وليلة" كجنس أدبى. فالفلكلوريون يقبلون بالتحريف والتصرف ولايهمهم النص، أما الأكاديميون فيرفضون من منطلق أمانة النص. ورغم أن النقاد العرب لم يعترفوا بمكانة "ألف ليلة وليلة" فلم توضع أدبى مستقل، ولم توضع ضمن القصة، فإن طه حسين وظف موضوعات "ألف ليلة ليلة" توظيفاً لافتاً. "وليست "أحلام شهرزاد" التى أصدرها طه حسين فى الأربعينيات بعيدة عنا، ولاغابت عنا فاتنة بطلتها التى جعلت طه حسين يتخذها نقطة لانطلاقه نحو العمل من أجل تأمين مصير الإنسان أمام قوى الظلم ومؤامرات الأعداء"[٢١]. وكان لترجمة "ألف ليلة وليلة" إلى اللغات الأوربية أثرها فى كثير من الأدباء، وكان جوهان فلفلنج فون جوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) أكثرهم تأثراً بالشرق عموماً وبألف ليلة وليلة خصوصاً. "لقد كان جوته يقارن نفسه، بوصفه شاعراً روائياً، بشهرزاد، وكان يقوم بهذا بوعى تام، وبصورة مستمرة. وتكشف هذه المقارنة عن جوانب شاعريته التى كانت تبدو لدارسيه والمعجبين به غاية فى التعقيد، كما يفسر لنا هذا الأمر ولعه بنوع معين من أنواع التركيب المرن أو الرخو، شغفه باستخدامه فى بعض مؤلفاته"[٢٢]. وتستطرد كاتارينا مومزن فى رائعتها النقدية "جوته والعالم العربى" فى تتبع آثار "ألف ليلة وليلة" فى أعمال جوته فتقول "ويعثر فى حكاياته الفنية على وفرة من السمات المستقاة من "ألف ليلة وليلة، . وينطبق هذا على حكاية "باريس الجديدة" (Der Neue Paris) و"ميلوسينه الجديدة" (Der Neue Melusine) مثلما ينطبق على

الحكاية الخرافية التى وردت فى قصته "أحاديث مهاجرين ألمان" أما فى "سنوات تجوال فلهم ماستر" فإن الشاعر يلمح بصورة جليلة إلى قصتى علاء الدين والمصباح السحرى وحلاق بغداد، كما استعان فى الجزء الأخير من روايته "الأنساب المختارة" بقصة : "أبو الحسن وشمس النهار" من "ألف ليلة وليلة" بينما نجد أنه استفاد فى "الأقصوصة"(Novelle) من حكاية الأمير أحمد والجنية باريبانو" (٢٣).

وينتهى العصر العباسى الأول ببزوغ اسم حنين بن إسحق كألمع مترجم فى عهد الخليفة المأمون "وكان دقيقاً فى ترجمته حتى قالوا إن المأمون رسم له أن يأخذ وزن ما يترجمه ذهباً. وقد عاش إلى سنة ٢٦٤هـ"(٢٤). ويأتى العصرالعباسىّ الثانى فنجد حركة الترجمة تزداد حدة وقوة وتنمو الترجمة عن اليونانينة نمواً عظيماً، ويتم لها الانتقال من الترجمة الحرفية التى تمتلئ بالعثرات والصعوبات اللفظية إلى ترجمة الفقر والعبارات بالمعنى ترجمة دقيقة. وهذا هو السر فى أننا نجد كثيراً من المترجمين أعادوا ترجمة هذا الكتاب أو ذاك مما ترجمه الحجاج بن مطر وغيره من مترجمى العصر العباسى الأول فى عهد المأمون. ويخيل إلى الإنسان أنهم لم يتركوا حينئذ كتاباً يونانياً فى أصله اليونانى أو فى ترجمته السريانية إلا ترجموه إلى العربية. وكان الذى أذكى الترجمة والنقل حينئذ الأموال الضخمة التى كان يغدقها المتوكل وغيره من الخلفاء على المترجمين، . . ."(٢٥).

وإذا كنا قد مثلنا للترجمات الإبداعية فى الآداب بالتركيز على "ألف ليلة وليلة" عند تناولنا للعصر العباسى الأول، فإن العصر العباسى الثانى قد شهد حركة علمية، هى بدون شك أساس نهضة العلوم العربية والاسلامية، وهى كذلك عند ترجمتها إلى اللغات الأوربية أرست الأساس الحقيقى للنهضة الأوربية. ويستمر حنين بن إسحق فى العصر العباسى الثانى فى تقديم ترجماته من الكتب الطبية إلى العربية "وقد ترجم لجالينوس منها عشرات إلى العربية والسريانية، غير ما أصلحه لتلاميذه من آثار ما ترجموه إلى اللغتين. . .وكان إبنه إسحق (ت:٢٩٨هـ) يُعنى بترجمة الكتب الحكمية والفلسفية. . .ولذلك كثرت ترجماته

لأرسطو وإقليدس وأرشميدس وبطليموس. أما حبيش فعنى مثل خاله بترجمة الكتب الطبية، وأشتهر أصطفن بأنه أول من ترجم كتاب دبوسقريدس فى النبات وكتاب أوديبا سيوس فى الأدوية المفردة"[٢٦] إلى جانب حنين وابنه وابن أخته كان هناك ثابت بن قره المتوفى سنة ٢٨٨هـ "ومن أهم ما ترجمه كتاب الأصول" لإقليدس، ويقول ألدومييلى إن النص العربى يصلح النص الإغريقى فى مواضع مختلفة، وترجم كتاب أرسطو فى النبات تفسير نيقولاوس، وله كتاب قرسطون فى نظرية الميزان واعتدال الأجسام الميكانيكية، وكان له أثر كبير فى لاتينية العصور الوسطى كما يقول ألدوميلى ومن مصنفاته "الذخيرة فى الطب" ألفه لابن سنان"[٢٧].

ونتوقف فى العصر العباسى الثانى عند أسماء تسعة أعلام ضخمة نقلت إلى العربية كل الموجود العلمى لدى اليونان والإغريق وكل من جاور بلاد المسلمين وقتها. ولقد لعبت العقلية النقدية لبعض هؤلاء المترجمين ـ إن لم يكن معظمهم ـ دورها فى الإضافة والتهذيب لما يترجمون والمشاركة بجديد، لذا لم يقتصر دورهم على الترجمة فقط. فقد كانوا علماء وباحثين يدرون تماماً مايفعلون، لذا كانت الإضافة أمراً طبيعياً بل متوقعاً. وهذا مانفتقده الآن فى ترجمة العلوم، فنحن نوكل الأمر إلى مترجم لاعلاقة له بالعلوم فتأتى ترجمته مجرد حروف عربية لامعنى علمياً لها، أو أن نوكل الأمر إلى العلماء على اعتقاد أنهم متخصصون فتأتى ترجماتهم جامدة ذوت فيها حلاوة اللغة العربية. وما ينقصنا هو نوعية هؤلاء المترجمين الذين جاؤوا فى العصرين العباسيين الأول والثانى، فإلى أدبهم الجم و لغتهم الجزلة كان لديهم دقة العالم وإلمامه بالموضوع الذى يترجم فيه. أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى (ت بعد: ٢٣٢هـ)، عبد الله بن خُردازبة (ت: ٢٨٠)، أحمد بن محمد بن كثير الفرغانى، جعفر بن محمد أبو معشر البلخى (ت: ٢٧٢هـ)، الفضل بن حاتم النيريزى (ت: ٣١٠هـ)، محمد بن جابر بن سنان الشهير بالبتّانى (ت:٣١٧هـ)، أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (ت:٣١١هـ)، الكندى يعقوب بن إسحق (ت:نحو ٢٦٠ هـ)، الفارابى أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان (ت:٣٣٩ هـ) ـ أسماء لا يمكن الحديث عن الترجمة

الإبداعـية، بمفـهومنا الذى قـدمناه فى صـدر هذه الدراسة، دون التـوقف عندها والإشارة إلى دورها الإبداعى فى مجال العلوم.

لقـد قدم الخـوارزمى شروحـاً على كـتاب إقليـدس فى الهندسـة وكتـاب بطليموس فى الجـغرافيا. وبن خردزابه وضـع كتاب "المسالك والممالك" المعـتمد على كتاب بطليموس فى الجغرافيـا. أما الفرغانى فقد وضع "أصول الفلك" الذى ترجم إلى اللاتينية أكثـر من مرة حتى عصر كـوبرنيكوس والبلخى الذى "كان له تأثير واسع فى العرب ومـسيحى العصور الوسطى، وترجمت له كـتب كثيرة إلى اللغة اللاتينية"(٢٨). والنيريزى الذى كان "متقدمـاً فى علم الهندسة وهيئة الأفلاك وحركـات النجوم وله شروح على أصـول إقليدس ترجمـها جيرادو دى كـريمونا ونشـرها كورتزه فى ليـبنزج سنة ١٨٩٩"(٢٩). وقـد كان لمحـمد بن جـابر سنان الشهير بالبتانى "زيج ضمنة أرصاد النيرين وإصـلاح الحركات المثبتة لهما فى كتاب المجسطى لبطليمـوس. وترجم زيجة إلى اللاتينية، وقد لخص نلّينو أهمية مـباحثة الفكرية وتصحـيحه لبطـليموس كثـيراً من أخطائه فى دراسـته القيـمة عنه بدائرة المعارف الإسلامية"(٣٠). وترجم كـتاب "الحـيوان" لأرسطو الذى ألف الجـاحظ كتابه "الحيوان" على نمطه.

إلا أن الرازى والكندى والفارابى يقفون بنتاجهم الفكرى المتميز مثلاً أكثر قوة وتأييداً لما ذهبنا إليـه من وظيفةالترجمـة ودورها الإبداعى، فقد ترجمت كـثير من كـتب الرازى إلى اللاتينيـة "وظل حجـة الطب غـير مـدافع حـتى القرن السـابع عشر... وترجم له أيضاً إلى اللاتينية مراراً كتابه فى الجدرى والحصبة، وهو بحث طبى رائع فى الوبائيات. وله ترجمـات حديثة إلى الإنجليزية والفرنسـية والألمانية. ولم يعن بالطب الجسمى وحـده فقد عنى أيضاً بالطب النفـسى، إذ ألف كتاباً فى الطب الرومانى نشرته جامعة القاهرة"(٣١).

ولقد أثر الكندى فى أسلوب روجـر بيكون (١٢١٤ ـ ١٢٩٤) وهو فيلسوف وعالم إنجليزى له دوره الـثورى فى تطوير الفكر الإنجليزى وإخراجه عـن تقليديته الكنسية فى ذلك الوقت إلى نهضة يدين لفـضلها حتى يومنا هذا. ويذكرنا برتراند

راسل (١٨٧٢ ـ ١٩٧٠) بفضل العـرب على روجر بيكون، وأنه إلى جـانب كون الأخير "خريج أكسفورد وأنه درس فى باريس، وأنه اكتسب معرفة موسوعية فى كل أنحاء المعرفة، تشبه طريـقة الفلاسفة العرب فى الماضى"(٣٢). إلا أنه يشكك فى موثوقية الترجمات من العربية مما جعل بيكون يعود لقراءة الأصول. والواقع أن كثيراً من أعمال الكندى ترجم إلى اللاتينيـة "وقد يفهم من بعض ما كتبه ابن أبى أصيبعه وغيره أنه كان يترجم عـن اليونانية والسريانية، ويرى الباحثون أنه لم يكن يعرفهـا، إنما كان يصلح ويصحح بعض ما تـرجم عنهما، وله تهذيبـات لكثير مما ترجم وله أيضاً شروح وتعليقات (٣٣)وهذا مما يفسر ما ذهب اليه برتراندراسيل من تشكيك فى "عدم موثوقية" الترجمات التى وقع عليها دوجر بيكون مما اضطره إلى العودة إلى الأصول. لكن راسيل لم يوضح إلى أى أصل، وأى لغة رجع بيكون، هل كان كـافياً لإثارته فكـرياً أم لا. ونحن نميل إلى أن بيكون لم يجد ضـالته فى الأصول اللاتينية واليـونانية ـ التى نرجح أنه رجع إليها حيث همـا لغة العلماء فى ذلك الوقت ـ إنما وجدها عند الكندى، لأنه كـان يضيف ويصحح وينقح لما وصله مترجماً، فهو مبدع ولذا كان أثره قوياً فى روجر بيكون.

والفارابى ـ آخر من نعتبر فكره، فى هذه الدراسة، نتـاجاً للترجمة الإبداعية ـ يمثل الإتجاه العقلى فى الفلسفـة. وهو قد وقع تحت تأثير أرسطو وأفلاطون وقد كتب " آراء أهل المدينة الفاضلة" على غرار "الجمهورية" لأفلاطون. إلا أن كتاب الفارابى جـاء نسخة إسلامـية واعيـة تدل على حس المتلقى ومعرفـته بما يريد من العمل المنقول. ويعلن الفـارابى فى كتابه "أن الحاكم ينبغى أن يكون مـتحلياً بكل الفضائل الإسلامية والفلسفية متجنبـاً اللذات الجسمية، إذ فيه تتمثل المدينة بخيرها وشرها، فإذا كان خيّراً فاضلاً كـانت المدينة فاضلة، وإذا كان شريراً فاسقاً انهارت المدينة وفســد الحكم فيـها فسـاداً شديداً... ونحن إنما لمسنا السطح فـقط لتّصور فلسفة الفـارابى، وهى فلسفة إسلاميـة عقلية استمدت من روحـانية الإسلام ومن نظريات العـقل ومن أفكار الفلاسفـة وخاصـة أرسطو وأفلاطون مـازجة بين هذه العناصر جميعاً مستخلصة منها فلسفتنا الإسلامية الوسيطة وأصولها السديدة"(٣٤).

- - - -

إن الترجمة الإبداعية لاتكون لها تلك الصفة إلابتوافر ظروف معينة حددناها فى قدرة الأدب المتـلقى على استيـعاب مـا يرد إليه، مع ملاحـظة أن وجود هوة

حضارية بين المنقول والمتلقى قد تؤثر سلباً فنهز أكتافنا قائلين "مالنا ولهذه الحضارة المتقدمة جداً"، وقد تؤثر إيجاباً فنستجيب بشحذ الهمم والعمل جادين فلا نلم بالدى الآخر فقط ولكن، أيضاً، نبدع ونضيف وهذا ما رأيناه فى أعلام العصر العباسى الثانى الذين أطلنا الحديث عنهم وعن أعمالهم. الترجمة الإبداعية فى الحالة العربية ظاهرة فريدة تستحق مزيداً من التوقف أمام مراحل ثلاث : عمل مترجم إلى العربية خضع للخواص النوعية والكمية للأدب العربى، والمرحلة الثانية التى أندمج فيها المترجم فى الموجود العربى وهو ما أسميناه أدب المتلقى وكان العصر العباسى الأول مثالاً له، ومنه امتد إلى علوم العرب فى العصر العباسى الثانى ليشمل بذلك العلوم والأدب ؛ والمرحلة الثالثة حيث أخذ هذا الموجود العربى الترجمات وهضمها واستوعبها وبعدها نُقلَ إلى اللغات الأوربية مترجماً لتنهل منه أوربا. فالترجمة الإبداعية فى هذه المراحل الثلاث تمثل إطاراً فريداً لتلاقى الفكر الإنسانى وإستفادةالجنس البشرى؛ من خلال اللغة، من علم وفن الآخر.

هوامش :

١ ـ Dionyz Dorsin , *Theory of Literary Comparatistics* (Bartislava : Publishing House of the Slovak Academy of Sciences . 1984), P136.

٢ ـ د. مراد وهبة، "فولتير ثمرة عصره"، مجلة إبداع (العدد ٨، أغسطس ١٩٩٤)، ص ٢٧ ـ ٣٠.

٣ ـ د. محمــد غنيمى هلال، "الأدب المقارن" (القاهرة : دار نهضــة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧)، ص ١٢٧ .

٤ ـ W. Macneile &H. J. C. Grierson, *The English Parnassus* (London : Oxford University Press , 1952), p. 748.

٥ ـ د. غنيمى هلال، "الأدب المقارن"، ص ١٣١ .

٦ ـ Dionyz Dorsin, *Theory of Literary Compartistics,* P. 134.

٧ ـ Ibid. , P. 137.

٨ ـ د. فوزى عطيه مـحمد، "علم الترجمة : مـدخل لغوى " (القاهرة : دار الثقافة الجديدة، ١٩٨٩)، ص ٦٢ .

٩ ـ Dionys Dorsin, *Theory of Leiteary Comparatistics, PP. 130-133.*

١٠ ـ جريدة "الشرق الأوسط"، العدد ٥٩٧٣ : ٤ إبريل ١٩٩٥ .

١١ ـ Op. Cit., Dionyz Dorsin , p. 142.

١٢ ـ Ibid., p. 142.

١٣ ـ د. فوزى عطيه، "علم الترجمة"، ص ٦٢ .

١٤ ـ د. شوقى ضيف، "تاريخ الأدب العربى ٣ : العصر العباسى الأول" (القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٦)، ص ١١٣ .

١٥ ـ د. غنيمى هلال، "الأدب المقارن"، ص ١٢٧ .

١٦ ـ د. أحمد زكى ،عن"ألف ليلة وليلة"، "فـصول" (شتاء ١٩٩٤) ، ص ٢٣ .

١٧ ـ المؤلف : فـرانس روزنتال، ترجمـة حسـين مؤنس وإحسـان العـمد (الكويت : عالم المعرفة ، ١٩٨٨).

١٨ ـ د. أحمد زكى، "فصول"، (شتاء ١٩٩٤)، ص ١٤.

١٩ ـ د. فاطمـة موسى، "مخطوطات ألف ليلة وليلة فى مكتـبات أوربا : مخطوطات متتاجو بأكسفورد"، "فصول" (شتاء ١٩٩٤)، ص ٥٠.

٢٠ ـ د. أحمد كمال زكى، فصول (شتاء ١٩٩٤)، ص ١٥.

٢١ ـ السابق : ٢٢ ـ ٢٣.

٢٢ ـ كاتارينا مومـزن، "جوته والعالم العربى"، ترجمة د. عـدنان عباس على ومراجـعة د. عبد الغـفار مكاوى (الكويت : عالم المعـرفة ١٩٤، ١٩٩٥)، ص ٢٥.

٢٣ ـ السابق : ٢٧.

٢٤ ـ د. شوقى ضيف، "العصر العباسى الأول"، ص ١١٣ ـ ١١٤.

٢٥ ـ د. شوقى ضيف، "تاريخ الأدب العربى ٤ : العصر العباسى الثانى" (القاهرة : دار المعرف، ١٩٧٣)، ص ١٣١.

٢٦ ـ السابق : ١٣٣.

٢٧ ـ السابق : ١٣٣ ـ ١٣٤.

٢٨ ـ السابق : ١٣٦.

٢٩ ـ ٣٠ ـ السابق : ١٣٦.

٣١ ـ السابق : ١٣٨.

٣٢ ـ Bertrand Russell, *Wisdom of the West* (London : Fawcett World Library, 1966), P. 207.

٣٣ ـ شوقى ضيف، "العصر العباسى الثانى"، ص ١٣٩.

٣٤ ـ السابق : ١٤١ ـ ١٤٢.

ترجمة المصطلح النقدى

ترجمة المصطلح النقدى إحدى إشكاليات الترجمة إلى العربية. وهى تشغل بال المهتمين بإيجاد معادل عربى لمصطلحات النقد فى اللغات الأخرى، وأقربهما إلينا الإنجليزية والفرنسية. ولقد كان للأستاذ الدكتور مجدى وهبة محاولة فريدة فى هذا الصدد، فقد أصدر فى عام ١٩٧٤ "معجم مصطلحات الأدب" وهو باللغتين الإنجليزية والفرنسية إضافة إلى العربية. ولم يتوقف مجدى وهبة عند حد المصطلح النقدى فقط، إنما تعداه إلى ما هو أبعد منه بكثير، فجاء معجمة شاملاً لكل مصطلحات الأدب فى الإنجليزية ومقابلها الفرنسى ثم ما يمكن أن يقابله فى العربية، وذلك مايعلنه وهبة فى تمهيده حيث يقول : "برغم أن هذا المعجم قد عنى أساساً بالمصطلحات الأدبية الخالصة إلا أن الباحث سيعثر فى ثناياه على مصطلحات فلسفية أو اجتماعية أو دينية أو فنية، وذلك لأن المعارف الإنسانية قد اتخذت فى بدء أمرها شكلاً موسوعياً قبل أن تنمو وتتفرع إلى فروع. على أننا لانستطيع أن نضع حداً فاصلاً بين ألوان المعرفة بعضها وبعض. فأرسطو فيلسوف وأديب، وابن جرير الطبرى مؤرخ وأديب، وعمر بن الفارض متصوف وشاعر، وللخوارج والشيعة والمعتزلة والمتصوفة فى الإسلام أدب، والبلاغة العربية، قبل أن تحجرها قواعد أرسطو بصيرورتها علماً من العلوم، كانت من صميم الأدب، بل كانت هى الأدب بعينه وهكذا الحال عند جميع الأمم والشعوب مهما اختلفت أجناسها وأسراتها اللغوية"[1]. وقد التزم وهبة فى ترتيب معجمه بالأبجدية الإنجليزية والفرنسية، معطياً شروحاً وافية بالإنجليزية والفرنسية والعربية.

وبعد ذلك قدم الأستاذ جبور عبد النور "المعجم الأدبى" فى عام ١٩٧٩ وهو يقدم المصطلح الأدبى والنقدى مرتباً حسب الحروف الأبجدية العربية ثم يعطى مقابل المفردة الفرنسية فقط ولا يعطى شرحاً بالفرنسية ولكن يعطى شرحاً بالعربية يتراوح بين الموجز والوافى. وينقسم معجم عبد النور إلى جزئين رئيسيين : **الأول:** "مصطلحات الأدب"، **والثانى:** "آداب ومؤلفون وكتب". فى الجزء الأول "يسوق المصطلحات الأدبية، أو بالأحرى ما اخترناه منها، ويجلو أبعادها المعنوية ضمن اختصاص معين، مع الإشارة إلى ما قد تتضمنه من مدلولات أخرى واقعة خارج نطاقها الأصلى فتتلاقى على صفحاته ألفاظ ماتيسر لها، من قبل، المثول فى

المعاجم التقلـيدية، إما لأنها معـربة حديثاً، وإما لأن اشتـقاقها القـياسى لم يسبغ عليها هوية معترفاً بها. وأوردنا فيه مفردات لها مفهوم أدبى ضعيف الصلة بالمفهوم المعجمى العام بعد أن تطورت عبر الأيام فى أقلام الكتاب، فنصل معناها القديم، وزها معناها الجديد طاغيـاً على ماسبقه، وحاولنا قدر إسـتطاعتنا، وضمن النطاق الضيق الذى جلنا فيه، الكشف عن أشهر المذاهب والمدارس، والتيارات الأوروبية، والإلماح العابر إلى ارتباطها بخلفيـات فلسفية أو فنية شاملة"[٢]. أما الجزء الثانى فهو، كما يقول المؤلف "نظرة بانورامية وخـاطفة على مجموعة من الآداب العالمية فى تطورها المتنامى من جاهلية الشعوب إلى أوج تحضـرها، مهيئاً ذهن القارئ من خلال المقدمات ونماذج الآثار والشخصيات، لانطباع محسوس، ولاستشفاف فيض الآداب وغناها وتناضحهـا وتفاعلها. . ."[٣] والجـزء الثـانى يخلو مـن المصطلح النقدى المعرف إلا أنه يأتى عرضاً عند الحديث عن إحدى المدارس الفنية أو النقدية ضمن الحديث العام عن أدب أمة أو فكر كاتب، أو عند استعراض أحد الكتب أو ما هو من طبيعة الجزء الثانى من هذا المعجم.

وهذان العملان يتمـيزان بأنهما معجمـان شاملان لمصطلحات الأدب والفكر عمـوماً، ويأتى المصطلح النقدى ضمـن الجزئيات الأخرى التى يغطيـانها. إلا أن هذين المعجمين، نظـراً للفاصل الزمنى الذى يفصلنا عنهما، لايفيـا بحاجة الناقد العربى أو حتى القارئ العـربى فيما يخص النقد المعاصـر وما تموج به مدارسه من مصطلحات ومسـميات. ونظراً لأن مؤلفاتنا النادرة، مثل هذين المـؤلفين، لانوليها أى رعاية بعد وفاة مؤلفيها، أو حتى بعد صدور الطبعة الأولى، فإن مافيها يتوقف عند ستينات القرن الحـالى ولايتعداه ليشمل مصطلحـات النقد المعاصر. ونأمل أن يأتى اليـوم الذى يتـبع فيـه ناشرونـا أسلوب النشر فى الغـرب من حـيث تطوير الطبعات الأولى لمثل تلك المعاجم فيضيفـون عليها كل ما يستحدث، ولا حرج أن يذكر اسم محررى المواد الحديثـة والمعاصرة التى تضاف إلى تلك المعاجم. فلو اتبع الغرب أسلوبنا فى التعامل مع المعاجم، لتوقف قاموس وبستر *Webster* وأكسفورد *Oxford* مثـلاً عند طبعاتهمـا الأولى ولواجها مـصير المعاجم العـربية فى الماضى والحاضر.

ولقد جاءت ترجمة "موسوعة المصطلح النقدى" التى قام بها الأستاذ الدكتور عبد الواحد لؤلؤة محاولة جادة فى سبيل وصلنا بالمصطلح النقدى المعاصر فى الأدب الإنجليزى(٤)، وهذه الموسوعة تنقسم إلى ثلاثة مجلدات. **الأول :** المأساة، الجمالية، الرومانسية، المجاز الذهنى. **الثانى :** اللامعقول، الهجاء، التصور الخيال، الوزن والقافية والشعر الحر. **الثالث :** الواقعية، الرومانسية، الدرامة، الدرامى والحبكة. وتلك الموسوعة كما يتضح من موضوعاتها لاتصل بنا إلى المصطلح النقدى المعاصر الذى هو موضوع هذه الدراسة وهمها الرئيسيين.

لذا تجئ ترجمة الأستاذ الكتور جابر عصفور لكتاب رامان سلدن "النظرية الأدبية المعاصرة" (١٩٩١) وكذلك كتاب الدكتور سعد البازعى والدكتور ميجان الرويلى "دليل الناقد الأدبى" (١٩٩٥) محاولتين جادتين لملء الفراغ الذى لم يتمكن معجما مجدى وهبة وجبور عبد النور من ملئهما.

والدراسة هنا لاتنوى المقارنة الكلية بين المساهمات الأربع التى بين أيدينا (وهبة - عبد النور - عصفور - البازعى/الرويلى)، لكنها تهدف إلى مقارنة جزئية بسيطة ألا وهى تناول المصطلح النقدى المعاصر فقط. وسيكون من الظلم أن نقارن بين معجمى وهبة وعبد النور من جهة وترجمة عصفور ودليل البازعى/الرويلى من جهة أخرى. فالمقارنة لا تكون صحيحة إلا عند توحد الأعمال موضوع المقارنة من حيث المحتوى والشكل. يقول دكتور جابر عصفور فى مقدمة ترجمته لرامان سلدن : "وعنوان الكتاب الأصلى، دليل القارئ إلى النظرية المعاصرة، وهو دليل جيد بالفعل. فبعد المدخل النظرى الذى يطرح فيه المؤلف تأسيساً لكيفية تصنيف النظريات المعاصرة، معتمداً فى ذلك على النموذج المنهجى الذى تقوم عليه دراسة رومان ياكبسون لما أسماه "الحدث الكلامى"، يتوجه المؤلف إلى النظريات المعاصرة نفسها، فيعرض للشكلية الروسية بوصفها "معطف جوجول" الذى تتابعت منه أحلام البحث عن منهج علمى، أو عند تأسيس علم لدراسة الأدب. وتتلاحق النظريات والمداخل، من النظريات الماركسية القديمة قدم "رأس المال" والجديدة جدة كتابات إيجلتون وفردريك جيمسون. والنظريات البنيوية التى تحتل مكانة

متـواضعـة فى الكتاب بعـد أن تصاعـد موج نظريات مـا بعد البنيـوية منذ أوائل السبعيـنيات، والنظريات التى تتوجه إلى القارئ وأخيـراً النقد النسائى"[٥]. هذا، ويورد رامان سلدن سبعاً وتسعين مصطلحاً نقدياً وُفِقَ الدكتور عصفور فى ترجمتها أيما توفيق، وكان الشرح والتعريف المرافقـان لكل مصطلح كافيين لإبعاد الغموض أو الإبهام عن أى منهـما. ورغم أن الأمـثلة التى استخـدمها سـلدن تخدم النص الإنجليزى إلى أبعد حد إلا أن ترجـمتها إلى العربية كانت لاتعنى كـثيراً لقارئ لا يعرف الإنجليزية. لذا اضطر عصفور فى أكثر من مرة إلى استخدام مقابلات عربية للأمـثلة اللغـوية فى نص رامـان سلدن ـ والمصطلحـات التى وردت فى ترجـمـة عصفور هى كالتالى:

- التشييديون.
- البنيويون.
- النقد الجديد.
- اللغة العملية.
- التغريب.
- آلية الوقع.
- إماطة اللثام.
- القص.
- الحبكة.
- التحفيز.
- الواقعية.
- تطبيع النص.
- أدبية الرواية.
- العنصر المهيمن.
- الشكلية.
- النقد الماركسى.
- الخطاب.
- النمط المونولوجى.
"الوحيد الصوت" للرواية.
- النمط الـديالوجى "متـعـدد الأصوات" للرواية.
- الكرنفال.
- محاورات سقراط.
- الأهجية الملينبية.
- العالم العلوى (الأولمبى).
- العالم السفلى.
- الأرضى.
- الوظيفة الجمالية.

ولقد جاءت ترجمة "موسوعة المصطلح النقدى" التى قام بها الأستاذ الدكتور عبد الواحد لؤلؤة محاولة جادة فى سبيل وصلنا بالمصطلح النقدى المعاصر فى الأدب الإنجليزى[٤]، وهذه الموسوعة تنقسم إلى ثلاثة مجلدات. **الأول :** المأساة، الجمالية، الرومانسية، المجاز الذهنى. **الثانى :** اللامعقول، الهجاء، التصور الخيال، الوزن والقافية والشعر الحر. **الثالث :** الواقعية، الرومانسية، الدرامة، الدرامى والحبكة. وتلك الموسوعة كما يتضح من موضوعاتها لاتصل بنا إلى المصطلح النقدى المعاصر الذى هو موضوع هذه الدراسة وهمها الرئيسيين.

لذا تجئ ترجمة الأستاذ الكتور جابر عصفور لكتاب رامان سلدن "النظرية الأدبية المعاصرة" (١٩٩١) وكذلك كتاب الدكتور سعد البازعى والدكتور ميجان الرويلى "دليل الناقد الأدبى" (١٩٩٥) محاولتين جادتين لملء الفراغ الذى لم يتمكن معجما مجدى وهبة وجبور عبد النور من ملئهما.

والدراسة هنا لاتنوى المقارنة الكلية بين المساهمات الأربع التى بين أيدينا (وهبة ـ عبد النور ـ عصفور ـ البازعى/ الرويلى)، لكنها تهدف إلى مقارنة جزئية بسيطة ألا وهى تناول المصطلح النقدى المعاصر فقط. وسيكون من الظلم أن نقارن بين معجمى وهبة وعبد النور من جهة وترجمة عصفور ودليل البازعى/ الرويلى من جهة أخرى. فالمقارنة لا تكون صحيحة إلا عند توحد الأعمال موضوع المقارنة من حيث المحتوى والشكل. يقول دكتور جابر عصفور فى مقدمة ترجمته لرامان سلدن : "وعنوان الكتاب الأصلى، دليل القارئ إلى النظرية المعاصرة، وهو دليل جيد بالفعل. فبعد المدخل النظرى الذى يطرح فيه المؤلف تأسيساً لكيفية تصنيف النظريات المعاصرة، معتمداً فى ذلك على النموذج المنهجى الذى تقوم عليه دراسة رومان ياكبسون لما أسماه "الحدث الكلامى"، يتوجه المؤلف إلى النظريات المعاصرة نفسها، فيعرض للشكلية الروسية بوصفها "معطف جوجول" الذى تتابعت منه أحلام البحث عن منهج علمى، أو عند تأسيس علم لدراسة الأدب. وتتلاحق النظريات والمداخل، من النظريات الماركسية القديمة قدم "رأس المال" والجديدة جدة كتابات إيجلتون وفردريك جيمسون. والنظريات البنيوية التى تحتل مكانة

متـواضعـة فى الكتاب بعـد أن تصاعـد موج نظريات مـا بعد البنيـوية منذ أوائل السبعيـنيات، والنظريات التى تتوجه إلى القارئ وأخيـراً النقد النسائى"[٥]. هذا، ويورد رامان سلدن سبعاً وتسعين مصطلحاً نقدياً وُفقَ الدكتور عصفور فى ترجمتها أيما توفيق، وكان الشرح والتعريف المرافقـان لكل مصطلح كافيين لإبعاد الغموض أو الإبهام عن أى منهـما. ورغم أن الأمـثلة التى استخـدمها سـلدن تخدم النص الإنجليزى إلى أبعد حد إلا أن ترجـمتها إلى العربية كانت لاتعنى كـثيراً لقارئ لا يعرف الإنجليزية. لذا اضطر عصفور فى أكثر من مرة إلى استخدام مقابلات عربية للأمـثلة اللغـوية فى نص رامـان سلدن ـ والمصطلحـات التى وردت فى ترجـمـة عصفور هى كالتالى:

- التشييديون.
- البنيويون.
- النقد الجديد.
- اللغة العملية.
- التغريب.
- آلية الوقع.
- إماطة اللثام.
- القص.
- الحبكة.
- التحفيز.
- الواقعية.
- تطبيع النص.
- أدبية الرواية.
- العنصر المهيمن.
- الشكلية.
- النقد الماركسى.
- الخطاب.
- النمط المونولوجى "الوحيد الصوت" للرواية.
- النمط الـديالوجى "مـتـعـدد الأصوات للرواية.
- الكرنفال.
- محاورات سقراط.
- الأهجية المينبية.
- العالم العلوى (الأولمبى).
- العالم السفلى.
- الأرضى.
- الوظيفة الجمالية.

- المتتالية الأدبية (النسق).
- المتتالية التاريخية.
- الواقعية الاشتراكية السوفيتية.
- نبذ الولاء للحزب.
- خاصية الشعبية.
- الانعكاس.
- تيار الوعى.
- علم الجمال الماركسى.
- مدرسة فرانكفورت.
- الماركسية البنيوية.
- البنيوية التوليدية.
- الحركة الجنسبينية.
- نظريات التفكيك (ديريدا - بول دى مان).
- الصوفية المادية.
- النظريات الفرويدية (لاكان).
- النقد الجدلى الماركس (جيمسون).
- المستطيل السيميوطبقى (جريماس).
- التفسير المتجاوز للنص.
- التفسير المحايث.
- العملية الأوديبية.
- اللاوعى السياسى.
- المهاد اللغوى (دى سوسير)
- السيميوطيقا.
- التحليل الفونيمى - الصوتى (مارى دوجلاس وكلود ليفى شتراوس).
- النظرية البنيوية للنص (تودورف وبروب).
- ميثمات mythemes (شتراوس).
- الإدماج.
- الحُبْسَة: اعتلال المجاورة واعتلال المشابهة (ياكوبسون).
- القطب الإستعارى.
- القطب الكنائى.
- الشعرية البنيوية (جوناثان كوللر).
- الشفرة الدلالية (رولان بارت).
- الشفرة الرمزية (رولان بارت).
- الفعل المشفر (رولان بارت).
- الذات القائلة (جاك لاكان).
- التكثيف.
- الاستعارة.

- الإحلال.
- الكناية (جاك لاكان).
- النسق المفهومى (جاك ديريدا).
- نزعة مركـزية اللوجوس (جاك ديريدا).
- نزعة مـركزية. الصـوت (جاك ديريدا).
- التـــراتب القـــهـرى (جـــاك ديريدا).
- تكمله (ديريدا).
- الإبعاد (جاك ديريدا).
- نقص التراتب (بول دى مان).
- الخاصية النصية(بول دى مان).
- المجـازات الرئيـسيـة الأربعـة (كينيث بيرك - هارولد بلوم).
- التقـيد، الاستـبدال، التمـثيل (هارولد بلوم).
- قلق التأثير (هارولد بلوم).
- التــواطؤ الشـعـــرى (هارولد بلوم).
- معـدلات المراجعة : المخـالفة: التـفصـيص، الهـجـر، حسن الإتبـاع المران.
- إعـادة التـجـسيم (جـيـفـرى هارتمان).
- عمى البصـيرة النقدية(بول دى مان).
- الخطاب والقوة (ميـشيل فوكو، إدوارد سعيد.
- نظرية الخطاب (إدوارد سعيد).
- نظرية اســتـــجـابة القـــارئ (أمبرتوإيكو).
- المروى عليه (جيرالد برنس).
- الفينومينولوجيا، فلسفة الظواهر (هوسرل).
- قارئ مضمر.
- قارئ فعلى (آيزر).
- آفاق التوقعات (ياوس).
- نظرية التـأويل، الهرمـينوطيقـا (جادامر).
- أسلوبيات العاطفة (فيش).
- المقدرة الأدبية (ميشيل ديفاتير).
- أعراف القراءة (جوناثان كوللر)
- عـلـم نـفـس الـقـــــــارئ (هولاند/ بلايخ).

لايشمل المصطلح النقدى أو الأدبى فقط كما يعلن فى تمهيده الذى اقتطفناه منذ قليل، ولكن يتعداه ليشمل كافة المصطلحات الفنية والفلسفية والجمالية التى يمكن أن يقع عليها كل من القارئ والأديب والناقد، لذا قارب عدد مصطلحاته الألفين.

أما جبور عبد النور فقد أورد فى الجزء الأول "مصطلحات الأدب" ما يقارب التسعمائه مصطلحاً، وفى الجزء الثانى "آداب ومؤلفون وكتب" فلا ذكر للمصطلح النقدى إلا عرضاً، كحديثه مثلاً عن مدارس النقد المختلفة فهو يستعرضها استعراضاً سريعاً دون التوقف عند مفاهيمها أو أقطابها أو كتبهم التى تنظر لتوجهاتهم النقدية. ووصولاً إلى عصفور نجد عدد المصطلحات النقدية يقل بعض الشئ فيصل إلى سبع وتسعين وذلك لأن مجال كتاب عصفور يغطى فقط النظرية الأدبية المعاصرة، وهو بذا يحدد لنفسه رقعة لايتعداها ليشمل مصطلحات أو مفاهيم تخرج عن هذا النطاق ثم يجئ كتاب البازعى/ الرويلى وفيه خمسة وأربعون مصطلحاً نقدَياً فى معظمها مصطلحات معاصرة، لم يرد منها إلاسبع فى معجم وهبة، كما أن أربعة فقط منها ترد فى معجم عبد النور(٩). كما أن اثنين وعشرين مصطلحاً منها موجودة فى ترجمة سلدن(١٠).

وهبة	عبد النور		عصفور	البازعى/ الرويلى
	ج١ : مصطلحات الأدب	ج٢ : آداب ومؤلفون وكتب		
١٩٢٧	٨٦٤	—	٩٧	٤٥

جدول (أ) : إجمالى عدد المصطلحات النقدية المستخدمة فى المؤلفات الأربع.

- النظام الأبوى (كيت ميلليت).
- مـركـزية القـضـيب (إرنست جونز).
- الاخـتـلاف الجنسى (لاكـان _ جين جالوب).
- منطق خطاب القضـيب (جوليا كرستيفا - هيلين سيكسوس).
- اللاوعى الأنثوى المتدفق (هيلين سيكسوس).

ولا تتوقف عـملية تحـديث الموجود النقـدى عند محاولة عـصفـور، لكنها تستـمر إلى أن تصل إلى "دليل النـاقد الأدبى"(١٩٩٥م) والذى يعلن مـؤلفاه فى مقـدمته، بتـواضع العلماء، أن ثمة وجـه اختلاف بين كـتابهمـا ومعجـمى وهبة وعـبدالنـور "ويكـمن وجـه الاختـلاف فى أن مـا نضعـه بين يدى القـارئ ليس قاموساً أدبياً كـما هو الحال فى ما ألفه مجدى وهبة فى عمله التـأسيسى. «معجم مـصطـلحـات الأدب» (١٩٧٤م) أوجـبـور عـبـد النـور فى "المـعـجم الأدبى"(١٩٧٩م). فطمـوحنا فى هذا الكتاب مـحدود جـداً بالقيـاس إلى ذينك العلمين الضخمين"[٦].

أما عن منهج البـازعى/ الرويلى فى هذا الدليل فهـو تقديم "مجمـوعة من أبرز المصطلحات والمفاهيم والاتجاهات الشائعـة فى النقد الأدبى المعاصر فى عرض متوسط الحجم يفـوق العرض المعجمى أو القاموس المقتـصد فى تفاصيله ولكنه لا يصل إلى مسـتوى المناقشة المسـتفيضـة التى تتسم بها المقـالات التحليلة"[٧]. أما الجانب الثانى من منهجـهما، وهذا مايعطى ذلك الدليل شخصيتـه "المميزة" فهو الاتجاه نحو التفسير والتقويم "بعيـداً عن وهم الموضوعية من ناحية، وبعيداً _ قدر الإمكان أيضاً _ عن المعالجة الأيديولوجية الفجة"[٨].

ويقـدم جـدول (أ) فى هذه الدراسـة مجـمل أعـداد المصطلحـات النقـدية المستخـدمة فى المؤلفات الأربعة (وهبة _ عبـد النور _ سلدن _ البازعى/ الرويلى). والأرقام قـد تثير الفزع عند مـقارنتهـا. ولكن لذلك تبريره، فوهبـة قدم معجـماً

لايشمل المصطلح النـقدى أو الأدبى فقط كمـا يعلن فى تمهيده الـذى اقتطفناه منذ قليل، ولكن يتعداه ليشمل كافة المصطلحات الـفنية والفلسفية والجمالية التى يمكن أن يقع عليها كل من القارئ والأديب والناقد، لذا قارب عدد مصطلحاته الألفين. أما جـبور عبـد النور فقد أورد فى الجـزء الأول "مصطلحات الأدب" مـا يقارب التسعمائه مصطلحاً، وفى الجزء الثانى "آداب ومؤلفون وكتب" فلا ذكر للمصطلح النقدى إلا عـرضاً، كحـديثه مـثلاً عن مدارس النقـد المختلفـة فهو يسـتعرضـها استـعراضـاً سريعاً دون التـوقف عند مفـاهيمـها أو أقطابهـا أو كتبـهم التى تنظر لتوجهاتهم النقدية. ووصولاً إلى عصـفور نجد عدد المصطلحات النقدية يقل بعض الشئ فيصل إلى سبع وتسعين وذلك لأن مجـال كتاب عصفور يغطى فقط النظرية الأدبية المعـاصرة، وهو بذا يحدد لنـفسه رقعـة لايتعـداها ليشمل مـصطلحات أو مفـاهيم تخـرج عن هذا النطاق ثم يجئ كتـاب البازعى/ الـرويلى وفيـه خمـسة وأربعون مصطلحاً نقدياً فى معظمها مصطلحات معاصرة، لم يرد منها إلاسبع فى معجم وهبة، كـما أن أربعة فقط منها ترد فى معـجم عبد النور[٩]. كما أن اثنين وعشرين مصطلحاً منها موجودة فى ترجمة سلدن[١٠].

وهبة	عبد النور		عصفور	البازعى/ الرويلى
	ج١ : مصطلحات الأدب	ج٢ : آداب ومؤلفون وكتب		
١٩٢٧	٨٦٤	—	٩٧	٤٥

جدول (أ) : إجمالى عدد المصطلحات النقدية المستخدمة فى المؤلفات الأربع.

جدول (ب)

مقارنة ترجمة المصطلح النقدى

م	المصطلح	وهبة	عبد النور		عصفور	البازعى/ الرويلى
			جـ١	جـ٢		
١	Comparative literatume	الأدب المقارن	—	الأدب المقارن	—	الأدب المقارن
٢	Orientalism	—	الاستشراق	—	الاستشراق	الاستشراق
٣	Structuralism	التركيبة/ البنيوية	البنيوية	—	البنيوية	البنيوية
٤	Srructural criticism	—	النقد البنيانى	—	النقد البنيوى	النقد البنيوى
٥	New Historicism	—	—	—	—	التاريخانية الجديدة
٦	Cultural Analysis	—	—	—	—	التحليل الثقافى
٧	Interpretation	التأويل	—	—	—	التأويل
٨	Hermeneutics	علم التأويل/ علم التخريج	—	—	نظرية التأويل/ التأويلية	الهيرمنيوطيقا
٩	Deconstruction	—	—	—	التفكيك	التقويضية
١٠	Trace	—	الأصل	—	—	الأثر الأصل
١١	Differ(A)nce	—	—	—	الاختلاف/ الإرجاء	الإخـ(ت)ـلاف
١٢	Dissemination	—	—	—	—	الانتشار أو التشتيت
١٣	Interabity	—	—	—	—	التكرارية
١٤	Supplemet	—	—	—	تكملة (إضافة/ استبدال)	الملحق/ الإضافة

(تابع) جدول (ب)

مقارنة ترجمة المصطلح النقدى

م	المصطلح	وهبة	جـ١	جـ٢	عصفور	البازعى/ الرويلى
١٥	Discourse	الحديث/ الكلام الصحيح / البحث / الأطروحة	—	—	نظرية الخطاب	خطاب
١٦	Discourse analysis	—	—	—	—	تحليل الخطاب
١٧	Colonial Discourse	—	—	—	—	الخطاب الاستعمارى
١٨	Post-Colonial theory	—	—	—	—	النظرية ما بعد الاستعمارية
١٩	Translation Studies	—	—	—	—	الدراسات الترجمية
٢٠	Intercultural Studies	—	—	—	—	الدراسات العبر ثقافية
٢١	New Pargmatism	—	—	—	—	الذرائعية الجديدة
٢٢	Competence	—	—	—	المقررة	القدرة/ الكفاءة
٢٣	Literary Competence	—	—	—	المقدرة الأدبية	القدرة الأدبية/ الكفاءة الأدبية
٢٤	the axiety of Influence	—	—	—	قلق التأثير	قلق التأثير
٢٥	Aporia	—	—	—	—	اللغزية/ العماية
٢٦	Post Modernity	—	—	—	—	ما بعد الحداثية
٢٧	Post Modernism	—	—	—	—	ما بعد الحداثة
٢٨	Effeceive Fallacy	—	—	—	—	المغالطة التأثيرية

(تابع) جدول (ب)

مقارنة ترجمة المصطلح النقدى

م	المصطلح	وهبة	جـ١	جـ٢	عصفور	البازعى/ الرويلى
٢٩	Intentional fallacy	—	—	—	—	المغالطة القصدية
٣٠	Death of Author	—	—	—	موت المؤلف	موت المؤلف
٣١	Ecriture	—	—	—	—	النص أو الكتابة
٣٢	Lisible	—	—	—	نص القراءة	النص المقروء
٣٣	Scriptible	—	—	—	النص المكتوب	النص المكتوب
٣٤	Reader Response Reception Theory	—	—	—	نظرية استجابة القارئ	نظرية الاستقبال (أو استجابة القارئ)
٣٥	New Criticism	—	—	—	النقد الجديد	النقد الجديد
٣٦	Dialogical Criticism	—	—	—	—	النقد الحوارى
٣٧	Contextual Criticism	—	—	—	—	النقد السياقى
٣٨	Phenomenological Criticism	—	—	—	النقد الفينومينولوجى/ الفينومينولوجيا فلسفة الظواهر	النقد الظاهرى/ الفينومينولوجى
٣٩	Marxisr Criticism	—	—	—	النقد الماركسى	النقد الماركسى
٤٠	Feminist Criticism	—	—	—	النقد النسائى	النقد النسوى/ النسائى
٤١	Psychological Criticism	—	—	—	النقد النفسى	النقد النفسانى
٤٢	Psychoanalysis	التحليل النفسى	—	—	التحليل النفسى	التحليل النفسى

٤٣	Archetypal Criticism	—	—	—	—	نقد النماذج العليا
٤٤	Mythic Criticism	—	—	—	نقد الأسطورة[١١]	النقد الأسطورى
٤٥	Magic Realism	—	—	—	—	الواقعية السحرية

جدول (ب) مقارنة ترجمة المصطلح النقدى

وعند مقارنة ترجمة المصطلح النقدى فى الأعمال الأربعة موضوع الدراسة نجد مايلى:

(أ) ـ بعض المصطلحات موجودة عند عصفور فى ترجمته لرامان سلدن ولايوجد أى منها عند وهبة أو عبد النور أو البازعى/الرويلى. ومنها الوظيفة الجمالية[١٢]، التشييديون[١٣]، التغريب[١٤]، إماطه اللثام[١٥]، القص[١٦]، التحفيز[١٧]، العنصر المهيمن[١٨]، والأهجية المينبية[١٩] عند باختين لايذكر البازعى/الرويلى أى شئ عنها كذلك لايذكر أى شئ عن مصطلح آخر وهو الكرنفالية[٢٠] وهما من أسس مدرسة باختين.

(ب) ـ بعض المصطلحات توجد عند البازعى/الرويلى فقط، ولاتوجد عند وهبة أو جبور عبد النور أو عصفور ومنها: التاريخانية الجديدة، التحليل الثقافى، الانتشار أو التشتت، التكرارية، تحليل الخطاب الاستعمارى، النظرية مابعد الاستعمارية، الدراسات الترجمية، الدراسات عبر الثقافية، الذرائعية الجديدة، اللغزية/العماية، مابعد الحداثية، ما بعد الحداثة، المغالطة التأثيرية، النص أو الكتابة، النقد الحوارى، النقد السياقى، نقد النماذج العليا، والواقعية السحرية. ونحن نفسر ذلك بأن عدم ذكرها لدى وهبة وعبد النور وكذلك عند عصفور يرجع إلى دخول تلك المصطلحات للتو إلى الساحة النقدية. ولوكانت موجودة سابقاً لما تقاعس أى من هؤلاء الأعلام عن إيرادها ضمن معاجمهم.

(جـ) ـ تناولت الأعمال الأربعة بعض المصطلحات متفاوتة فى شرحها وتحليلها والتمثيل لها. ونذكر هنا مثالين:

١ـ الأدب المقارن. فى حوالى عمود وربع من الصفحة ٨٠ يعرف الأستاذ الدكتور مجدى وهبة الأدب المقارن على أنه "١ ـ المقارنة بين آداب أو مجموعات لغوية واحدة، أو مجموعة لغوية مختلفة. ٢ ـ دراسة التأثيرات الأدبية التى تتعدى الحدود اللغوية والجنسية والسياسية مثال ذلك : دراسة الرومانتيكية فى آداب مختلفة. . .وتشمل هذه الدراسة متابعة أساطير أو موضوعات معينة عبر العصور وفى بيئات مختلفة. وهذه الدراسة هى ما أسماه العلماء الألمان بتاريخ الموضوعات

Stoffgesghichte. ومثال ذلك أسطورة "فاوست" أو "أوزريس" أو "قصة شهرزاد" فى آداب مختلفة. ويتعرض الأدب المقارن أيضاً لدراسة الشهرة الأدبية لأحد كبار الأدباء فى بيئة غير بيئته وتأثير الآداب بعضها فى بعض عن طريق حركة الترجمة، وتفاعل الأدباء مع المذاهب الأدبية المختلفة التى لايمكن اعتبارها وليدة مجتمع واحد بالذات وذلك كالنزعة الواقعية أو الرومانتيكية أو غيرهما". ويتعرض بعد ذلك لتعريف بول فان تيجم للأدب المقارن على أنه "ذلك الفرع من الأدب الذى يعنى بدراسة تأثير أدب فى آخر أو تأثره به فهو يتناول النتائج التى انتهت إليها تواريخ الآداب القومية فيكملها وينسقها ويضم بعضها إلى بعض فى تاريخ أدبى أعم".

أما جبور عبد النور فيخصص فقرة واحدة من الصفحة ٣٧ ٠ربع الصفحة تقريباً) لتعريف الأدب المقارن "الأدب المقارن : قسم من تاريخ الأدب ظهر فى انكلترا وألمانيا فى أواخر القرن التاسع عشر، الغاية منه دراسة الروابط بين مختلف الآداب فى العالم والبحث فى التيارات الفنية وبروزها فى الآثار العالمية، وتعليل التشابه والتقارب بينها، على ضوء التاريخ والتحليل الأدبى والنفسى والاجتماعى والسياسى. ويفرض فى المتصدى لهذا العلم أن يتصف بميزات الناقد الناجح، وأن يكون ضليعاً فى اللغات التى يعنى بآدابها". و د. جابر عصفور لايذكر هذا المصطلح على الإطلاق.

أما دليل البازعى/الرويلى فيخصص لهذا المصطلح سبع صفحات تقريباً فيها الكثير من الشروح والأمثلة وكذلك تاريخ الأدب المقارن. "تعود نشأة الأدب المقارن إلى أواسط القرن التاسع عشر حين انتشرت المقارنة فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية كمنهج بحث معرفى فى كثير من العلوم وفى مقدمتها العلوم البحته... أما فيما يتصل بالدراسات الأدبية فيبدو أن الشعور بأهمية المقارنة أخذ يلح فى نهايات النصف الأول من القرن التاسع عشر فكان من دلائل ذلك أن ألف الفرنسيان أبيل فرانسوا فيلمان وجان ـ جاك أمبير كتاباً فى تاريخ الأدب تضمن بحثاً عن الروابط والتأثيرات بين الآداب الأوروبية. .الاعتقاد بكلية الظاهرة الأدبية

هو مايسم المدرسة الأمريكية فى الأدب المقارن، فى مقابل مدرسة أخرى هى المدرسة الفرنسية. . وتشترك المدرسة الروسية فى نقد القيود المنهجية على الدراسة المقارنة، خاصة وأنها تنطلق من أسس ماركسية أممية التوجة. . . على أن الاختلاف بين المدارس الأوروبية لم يلغ التقاءها فى السنوات الأخيرة خاصة عند جملة من القواسم المشتركة، وفى طليعتها ميادين البحث الرئيسية، وهى التأثر والتأثير والتناظر (بين الأعمال أو الكتاب) ومايتصل بذلك من دراسة للمصادر وأنماط التلقى (أى الكيفية التى يُتلقى بها كاتب أو عمل ما فى بيئة مغايرة)، والترجمة، والأنواع الأدبية، والتيارات، والحركات، والموضوعات، والأشكال، والخيوط الناظمة (الموتيفات). . . لقد ظلت المؤلفات العربية فى هذا الحقل، وطوال العقدين أو الثلاثة الماضية، واقعة فى مجملها تحت طائلة التأثير الغربى سواء من الناحية المنهجية أو التطبيقية. . . ويتطرق بعذ ذلك إلى دور الدراسات الترجمية ومابعد الاستعمارية "والمقصود بها الدراسات التى تبحث فى العلاقات الثقافية بين الغرب بوصفه مستعمراً ومايقع خارج الغرب من الدول وقعت تحت طائلة الاستعمار، مع ماتتضمنه تلك الدرسات من تحليل للنصوص الأدبية وغيرها للكشف عن استراتيجياتها الخطابية على النحو الذى يبرزه إدوارد سعيد فى كتابه "الاستشراق" (١٩٨٧)"[٢١].

٢ ـ الأثر الأصل. لم يرد هذا المصطلح عند وهبة أو عصفور على الإطلاق. أما عبد النور فيقول عنه "١ـ فنياً : إنتاج صادر عن الذهن و الموهبة، مثل : الكتاب، اللوحة، الأنشودة، التمثال إلخ. . . ٢ ـ آثار الشاعر : كل ما ألفه، ونشط فى إبرازه إما فى مرحلة معينة، وإما طول حياته. ٣ ـ تتعاون عادة فى تكوين الأثر الأدبى عناصر عدة لايتيسر حصرها لتشعبها وارتدادها إلى الجذور العرقية، والأمالى المعاصرة، غير أن أهمها يتحدد مباشرة من الفكر المبتكر للمعانى، والمنسق والموضح لها، ومن الانفعال المتمثل فى المشاعر، ومن الخيال المولد للصور الجديدة والتشابيه والمقارنات ومن الأسلوب الذى يصوغ كل ذلك، ويبرزه فى أبرع عبارة وأبلغها. "إن عباقرة الفن ينتجون الآثار الفنية التى تنال إعجاب الجميع، على غير قاعدة أو مثال يقتفونه" (روز غريب، النقد الجمالى، ص ٧) ـ "إذا كان الأسلوب هو الذى ينم عن شخصية الخلاق ويعرف به، فليس هو فى الواقع الذى يضفى على الأثر الأدبى الروعة ويجعله مستساغاً مفهوماً من

القراء' (الآداب، ١٩٧٢، ١، ٥٩) ـ ' من أولى المسلمات فى الحياة الأدبية أن يكون الأثر الأدبى لدى الكاتب تعبيراً عن رؤية متميزة إلى العالم' (الموقف الأدبى، السنة الأولى، ١، ٦)"[٢٢]. وهذا مفهوم عام بدائى بمقاييس النقد فى تسعينات هذا القرن. إلا أن هذا المصطلح يأخذ شكلاً أعمق عند البازعى والرويلى اللذين يخصصان له أربع صفحات ونصف الصفحة فى شرح عميق كأحد مصطلحات التقويضية. "يرتبط مفهوم الأثر فى التقويضية بمفهوم 'الحضور' و 'الحضور الذاتى' وينبع منهما النظرية الماورائية؛ أما بالنسبة إلى دريدا فهو يرى فى الأثر شيئاً يمحو المفهوم الميتافيزيقى للأثر والحضور (لايمكن أن يقوم أى مفهوم سواء كأن الأثر أو الحضور إلا على محو الأثر كما يصفه دريدا)... والأثر الأصل هو الإمكانية التكوينية للتلاعب المتبادل بين أطراف التضاد، بين الآن والآخر؛ باختصار : إن الأثر الأصل هو الإمكانية التكوينية لما يعرف عادة بالاختلاف. والأثر الأصل هو أدنى أو أصغر مستويات البنية الضرورية لإيجاد ما يمكن أن تحل هذه المصطلحات أو المفردات مكانة وتنوب عنه (أى ريجاد أية علاقة مع "الخارج")... ولما كان الأثر الأصل (فى الفكر الميتافيزيقى) يعد ثانوياً ومشتقاً من أصل ومضاد له، أى مضاد لمفهوم الحضور الكامل، فإن الأثر الأصل الذى يسمى "الاختلاف" بينهما كان لابد أن يكون اختلافاً قادراً فى هوية "الحضور الكامل" حتى يتيح لهذا الحضور تميزه كحضور وكمضاد لمفهوم الأثر... وهكذا فإن الأثر الأصل يوحد فى آن حركة مزدوجة : حركة المرجعية (سواء كانت مرجعية إلى الذات أو إلى الآخر) وحركة انحراف الذات وتحويلها عبر الآخر. إن الأثر لابد أن يفهم على أنه "ثنية" الانعكاس أو الانكسار الراجع وغير القابل للاختزال، على أنه أقل وحدة اختلاف (الذات) ضمن الهوية الذاتية، "الثنية" التى تجعل الانعكاس يتحقق أو "يعود" إلى مصدره حتى تدرك الذات "ذاتها". وبدون وحدة البنية هذه لا يمكن أبداً، أن تتحقق الذاتية والحضور الذاتى من خلال تحويلة الذات كآخر نحو الذات"[٢٣].

من خلال الاستعراض السابق لترجمة المصطلح النقدى نستطيع القول أن محاولتى عصفور وكذلك البازعى/الرويلى رائدتان فى فك التعقيد البالغ للمشهد النقدى المعاصر. ولهما الريادة كذلك فى تبسيط المعارف النقدية وتقديمها للقارئ العربى مجنبةً إياه الصدمة التى قد تصيبه من التراكم المعرفى غير العادى الذى تأتى

به مئات الـدوريات والمجلات الأدبية التى لاتكف عن الإتيان بالجـديدمع كل عدد يصدر منها فى كافة أرجاء المعمورة.

لكن تبقى مـشكلة المصطلح النقدى قائمـة، طالما بقيت عملية تناوله قـائمة على أكتاف وجهود أشخـاص فرادى. ولنا أن نتخيل لو أن المواد التى فى الأعمال الأربعة مـوضوع هذه الدراسـة تكاملت فى معـجم واحد يخـضع لعمليـة تطوير وتنقيح سنوياً (وبالطبع، نحن نسـتثنى ترجمة كتـاب سلدن، وإلا فنحن ندعو إلى السرقة الأدبية) فالناتج سـيكون معجماً ضخماً وافياً شـاملاً لايؤثر فيه تقادم الزمن أو موت مؤلفه. ذلك أمل ورجاء لدى دور النشر العربية، أن يقوم محرروها بذلك العمل الثـقافى الرفـيع، ولا أظن أن ضرراً من أى نوع سـيلحق بحقـوق التأليف والنشر. فبدل أن يصبح معجم مجدى وهبة كلاسيكياً لتوقفه عند السبعينات، فإن عملية التـنقيح والزيادة التى نقترحهـا ستجعل منه مـرجعاً شاملاً مـتكاملاً، يغنينا كثيراً عن التـأليف مرة تلو الأخرى. فالثابت أن كل فترة فى حيـاتنا النقدية تحتاج إلى معاجم بعـينها، وعندما تنتهى تلك الفـترة نكون بحاجة إلى مـعاجم جديدة، وتلك فى حد ذاتها عملية تراكمية تنتهى بفوضى استخدام المصطلح دون أى فرز أو انتقاء. ومما يزيد الأمـر تعقيداً أن البعض يتبنـى المعاجم التى تصدرها بلده، وذلك واضح من اختـلاف المسميـات والاصطلاحات النقدية بين المشـرق والمغرب، وفى عقيدة البـعض أن ما يقوله هو الصحيح فـقط دون أى اعتبار للمعاييـر الموضوعية لاستخدام ذلك المصطـلح والتى أولها أن يكون مقبولاً لدى الجماهـير العريضة من المتلقين وألا يكون فيه غربة لغوية، فلماذا نقول هيرمنيوطيفا وفينومونولوجيا ولدينا التأويل وفلسفة الظواهر ؟ كما أن آخرها لن يكون التطبيق باستخدام أمثلة من أدبنا العـربى، وذلك حـديث آخر فـالمنظرون والناقلـون أكثـر بكثـير من الـشارحـين التطبيقيين، فالتنظير والنقل أسهل وأكثر أمناً.

هوامش :

١ ـ د. مجدى وهبة، "معجم مصطلحات الأدب" (بيروت : مكتبة لبنان، ١٩٧٤)، ص Xii.

٢ ـ جبور عبد النور، "المعجم الأدبى: (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٧٩)، ص ٢.

٣ ـ السابق، نفس الصفحة.

٤ ـ جون جب، "موسوعة المصطلح النقدى" (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣).

٥ ـ رامان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة"، ترجمة د. جابر عصفور (القاهرة : دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١)، ص ٦.

٦ ـ د. ميجان الرويلى و د. سعد البازعى "دليل الناقد الأدبى" (الرياض : العبيكان، ١٩٩٥)، ص ١٠.

٧ ـ السابق، نفس الصفحة.

٨ ـ السابق، ص ١١.

٩، ١٠ ـ أنظر جدول (ب) من هذه الدراسة. يعتمد جدول (ب) على المصطلحات التى وردت فى "دليل الناقد الأدبى"، فيضعها بالإنجليزية على اليمين ثم يضع ترجمتها العربية كما أوردها المؤلفان على يسار الجدول، ثم مقارنة ترجمة ذلك المصطلح ـ إن وجد ـ عند وهبة وعبد النور وعصفور. فالأساس هو استخدام المصطلح عند البازعى والرويلى.

١١ ـ يورده المؤلف فى المقدمة كمصطلح فقط ويعلن أنه قد استبعده إذ يبدو له "أن نقد الأسطورة لم يقتحم التيار الأساسى للثقافة الجامعية (الأكاديمية) أو الشعبية ولم يتخذ المسميات القائمة بالدرجة نفسها من القوة التى تحدتها بها النظريات التى سوف نعرض لها" (عصفور : ١٨ ـ ١٩) وهناك إشارة عابرة له عند الحديث عن نزعة التفكيك فى أمريكا (عصفور : ١٥٤).

١٢ ـ السابق، عصفور، ص ٤٢.

١٣ ـ السابق، ص ٢٤.

١٤ ـ السابق، ص ٢٧.

١٥ ـ السابق، ص ٢٩.

١٦ ـ السابق، ص ٣٠.

١٧ ـ السابق، ص ٣١.

١٨ ـ السابق، ص ٣٣.

١٩ ـ السابق، ص ٤٠.

٢٠ ـ السابق، ص ٣٩.

٢١ ـ السابق، البازعى/ الرويلى، ص ١٤ ـ ٢٠.

٢٢ ـ السابق، جبور عبد النور، ص ٥.

٢٣ ـ السابق، البازعى/ الرويلى، ص ٥٥ ـ ٥٩.

ملحق (أ)

تعريب العلوم....وقضية التنمية(*)

د / الشاذلي القليبي

يثير موضوع تعريب العلوم مشاكل كثيرة، بعضها ذو طابع اجتماعى وبعضها يتعلق بتنظيمات وهياكل. فالمشكل الاجتماعى يتمثل فى أن استعمال اللغة العربية لا يبدو ضروريا فى نظر الكثيرين ممن يشتغلون بالعلوم، فكأنهم يرون لغتهم قاصرة، إضافة إلى ما يعتقدون من عسرها البالغ فيسارعون إلى استعمال لغة أجنبية طالما يتعلق الشأن بمعلومات دقيقة أو اكتشافات علمية حديثة. والمعروف فى البلاد المتقدمة أن رجال العلم يحسنون التكلم بلغتهم بتفوق. فلا يتصور أن يبلغ الواحد منهم الدرجات العليا فى ميدانه، إذا لم يكن متضلعا من لغته قائما بدقائق نحوها وصرفها، قادراً على التعبير بها ارتجالا دون لحن. «ومن كان اللحن عادته - سواء من رجال العلم أو من رجال السياسة - فإن وسائل الإعلام تشهر به، ويصبح مضرب الأمثال لكن الأمر عندنا يختلف اختلافا كليا. فالذى يُلاحظ فى كثير من الأحوال هو أن عددا غير قليل من الذين يشتغلون بالعلم عندنا لايحسنون استعمال العربية. وبعضهم يجعل انتسابه إلى العلم عذرا عن اتقان اللغة. ومن هذا البعض من يعتقدون أن فى إجادة لغة أجنبية مندوحة عن الإفصاح باللغة الوطنية. ولانرى من يستسهل الاعتراف بجهله فى أى حال، إلا إذا تعلق هذا الجهل باللغة العربية وقد نرى من يعلن قله درايته بقواعد اللغة العربية فى مثل التبجح، فيأتى اللحن ويراطن مخاطبيه فى شىء من الخيلاء. والأنكى من كل ذلك أن المجتمع العربى يبدو قابلا لهذه المعاذير، ضاربا صفحا عن المؤاخذة باللحن وأنواع الرطانات، كان لسان حاله يقول : العربية أصعب من أن يضيع وقته فى تحصيلها من له مسئوليات سامية يقوم بها، أو علم جليل ينكب عليه.

إن قدرة العربية على استيعاب المفاهيم العلمية وإيجاد الاشتقاقات المناسبة لها، أمر قامت عليه الحجج الساطعة.

ولقد برهنت العربية عن هذه القدرة فى العصور التى كانت فيها تضطلع بزعامة البحث العلمى والإبداع الحضارى. والمكتبة العلمية العربية التى تعود إلى

(*) الأهرام : ٣٩٢٢٣ بتاريخ ٢٧/ ٤/ ١٩٩٤.

تلك العصور حافلة بالألفاظ والتعابير التى كـانت تعد مرجعا بالنسبة إلى الاوساط العلمية فى مختلف أنحاء العالم المتحضـر، يقتبسون منها. ومن هذه المكتبة يمكن اليوم لرجال العلم العرب أن يستخرجوا معجما ضافيا يغطى الكثير من احتياجاتهم فى مختلف المجالات.

وبقطع النظر عما تمتاز به العربية من خصائص فذة جعلتها لغة الدين والعلم والفلسفة والأدب والشعـر، فإن فكرة قصور لغة ما عن آداء مفهـوم جديد، علميا كان أو فلسـفيا لاحـجة تسندها، إذ نرى شـعوبا شتى، صـغيـرة العدد أو كبـيرة الحجم، تستخدم لغتها فى تدريس العلوم، وفى البحث العلمى، وفى سائر المرافق التكنولوجية، دون أن يكون ذلك عائقاً لها فى شىء.

من المشاكل التى تتعلق بتعريب العلوم نوع ثان يخص منهجية العمل فى هذا المجال.

فتعريب الألفـاظ العلمية الحديثة قد يكون بالرجوع إلـى كتب العلم القديمة لاصطفاء مـا يناسب منها، سواء كـان ذلك بالتطابق الكامل أو المقاربة، وتحـميل الكلمـة القديمـة معنى إضافـيا. فـإذا تعذر العـثور على اللفظ القـديم المناسب، فالاشتقاق الذى هو من خصائص العربية كفيل بأن يفى بالحاجة.

أما الإبقاء على الجـذور الأجنبية للمصطلحات العلمـية، فلا نرى أنه يمكن الأخذ به قاعدة مطردة. وليس ذلك متبعا لدى الشعوب المعتدة بلغتها مثل الشعب الألمانى الذى على سبيل المثـال، يصر على تسمية التلفـزة بلفظ ألمانى مغاير لما هو متداول فى بقـية العالم ثم إن الملاحظ أن جهودنا فى تعـريب العلوم تتسم بضعف التنسيق وبتضارب الاجتهادات فى الكثير من الأحيان، حتى أن اللفظة لاتكاد تفهم على وجهها الصـحيح فى غير القطر الذى انشأها. وهذا يعود إلى غـياب التعاون المنظم بين جامعاتنا. ومعـاهد البحث العلمى عندنا، وإلى فقدان الندوات الدورية فى مخـتلف القطاعـات لتمكين ذوى الإخـتصاص من التـلاقى بانتظام، لمناقـشة حصيلة دراساتهم ومقارنة ملاحظاتهم.

ويعزى هذا أيضـاً إلى أن مجامع اللغة فى البـلاد العربية لم تهتـد بعد إلى أسلوب عملى لتنسيق جهودها، وجعل خططها الدراسية متضافرة متكاملة.

ثم أنه يجدر أن نتساءل عن جدوى التعريب لعلوم تنهج لها وتضطلع بالبحث لها أمم غيرنا. ونحن لانتجاوز فى أغلب الأحيان حد التعليم والاقتباس بتعريب العلوم إن لم يقترن بحركة جادة متجهة إلى البحث العلمى فى الاجتهاد التكنولوجى، فإنه يبقى عملاً سطحيا بدون جذور ولا كبير نفع. إن وظيفة مجمع اللغة العربية، هذه المؤسسة العتيدة الرفيعة الشأن تنطلق من الغيرة على اللغة العربية، والإيمان بقدراتها العظيمة، والوازع القوى إلى صيانتها وتنميتها. وبهذا الاعتبار فان مهمة المجمع تتجاوز الإطار اللغوى إلى كل مابه تستقيم صحة اللغة وتزداد قوة على التعبير ونصاعة فى الأداء. ذلك أن اللغة منصهرة فى حياة المجتمع، تعبر عن مآربة وتطلعاته وخلجاته، إضافة إلى ما حملتها الأجيال السابقة من دلالات ومفاهيم ومجازات. ولسنا نبالغ فى شيء إذا ما قلنا أن قوة اللغة من قوة مجتمعها، وإن ما يطرأ عليه من ضعف وتقهقر، لابد أن ينعكس عليها بالركود والانكماش. إن قدرة اللغة العربية على التعبير، ومرونتها فى الأداء، وطاقاتها باتجاه التجديد والابداع، كل ذلك مستمد من حيوية المجمع وتجدد أهتماماته وتوسع مجالات اجتهاده.

فقضية اللغة مرتبطة إذن أشد الارتباط بالفكر وحركيته، والثقافة وشموليتها، والحضارة وابداعاتها المتواصلة.

ويمكن أن نوجز هذه الحقائق كلها بأن نقول أن تنمية اللغة إنما هى متوقفة على تنمية المجتمع.

وكثيراً ما يذهب الساسة، فى البلاد التى تنشد التنمية، إلى أن أدواتها تنحصر فى الحقل الاقتصادى والحقيقة أن التنمية تشمل كل أنشطة المجتمع : الفكرية منها والثقافة والعلمية، إلى جانب القطاع الاقتصادى ذلك أن التنمية ليست بعملية سطحية، تخص مظاهر اجتماعية أو اقتصادية يمكن حصرها وتسليط الأضواء. عليها التنمية لا تكون حقيقة إلا إذا كانت شاملة لكل القطاعات، كما ذكرنا آنفا، وكأن الهدف منها تفعيل المجتمع بتعزيز قدرته على الحركة وعلى المبادرة. والخروج من التخلف إنما هو خروج من السلبية التى كان المجتمع مخلدا إليها، بتفجير ينابيع الاجتهاد فى أعماقه.

إن شعوبنا العربية، فى هذه الحقبة مضطرة، أكثر فأكثر، فيما يخص مرافق العيش والاقتصاد، إلى مد جسور بينها وبين العالم الملقب بـ "المتقدم" الذى غمر الدنيا بإنتاجه، ودوخ سائر الأقطار بسيطرته الإعلامية وإشعاعه الثقافى، ونفوذه الاقتصادى والمالى والسياسى، فضلا عما استتب له من سيادة بالقوة العسكرية. والخيارات المتاحة لشعوبنا، بخصوص نوعية الاتصال بهذا العالم المتقدم، تنحصر فى أحد وجهين : أما البقاء فى سلبية تامة تجاهه، فتكون أقطارنا سوقا مفتوحة له بدون حراك ولامبادرة، وإما التفاعل معه بقوة متطورة، فى نطاق تنمية حقيقية. تضمن لشعوبنا القدرة على إنشاء علاقات تبادل متكافئة أكثر فأكثر، مع سائر الأمم.

لكن التنمية فى عصرنا هذا تتوقف إلى أبعد الحدود، على ما للشعب من قدرات علمية ومهارات تقنية وطاقات تكنولوجية. فرهان التنمية مرتبط اليوم بمدى السيطرة على هذه المجالات الحيوية لدفع عجلة التنمية ـ وكذلك لضمان الحد الأدنى من القوة الدفاعية.

والسيطرة على العلوم والتكنولوجيا وسائر التقنيات الحديثة لا تكون بتعلم ما يكتشفه الغير، والاقتباس من بحوثهم، وتقليد ما يضعونه. السيطرة لا تكون إلا بالمشاركة الفعلية فى البحث العلمى وإثرائه، وابتكار التقنيات المتلائمة مع مناخ شعوبنا الثقافى والاجتماعى، والارتقاء إلى مرتبة الاجتهاد فى كل ما يحتاج إليه المجتمع العربى من أدوات وأجهزة ومرافق، حتى لا يبقى عالة على ما يأتيه من الخارج، مرتهن، فى مجالات حيوية، بقرار غير قراره.

ولبلوغ هذه الدرجة من السيطرة على العلوم والتقنيات، لابد من بذل جهود عظيمة فى إطار مناسب من الإمكانيات المادية والبشرية، ومن حيث المناخ الاجتماعى. وفى ذلك تحديات عديدة تواجهها شعوبنا.

١ ـ التحدى الأول يتعلق بتوفير الإمكانيات المادية التى يحتاج إليها البحث العلمى. وهى أثقل من أن تقدر عليها دول أوربية من حجم ألمانيا أو فرنسا، فما بالك بدولنا التى يحتاج أغلبها إلى معونات خارجية.

٢ ـ ويدخل فى هذا التحدى أيضاً ضرورة تفرغ عدد كبير من العلماء ورجال التقنيات المختلفة وهو كذلك مما تنوء به دول متقدمة مثل التى ذكرنا، فضلا عن أقطار لاتزال فى أول مسيرتها الإنمائية.

وليس فى العالم اليوم دولة غير الولايات المتحدة تقدر، منفردة، على التغلب على معطيات هذا التحدى، فيكون لها من أهل العلم والتقنية ما يفى بالحاجة، ويكون فى مقدورها أن تخصص المبالغ التى يقتضيها البحث العلمى ومختلف نفقات التجارب التكنولوجية. ولذلك نرى الاتحاد الأوربى يسعى لتوحيد جهود دُوَلِهِ فى هذه المجالات، كى لا يبقى تابعا لأمريكا محتاجا إلى الأخذ عنها.

فهل نستخلص من هذه الحقائق أن الطريق مسدود أمام شعوبنا.

لاشك أن شعوبنا لن يتسنى لها كسب التنمية إلابالعلوم والتكنولوجيا. ولا شك أن السيطرة على العلوم والتكنولوجيا لن تتحقق إلا ببناء القدرة على البحث العلمى والإبداع التكنولوجى، لا لسد حاجاتنا جميعا وهى غاية يعسر إدراكها على الدول العظمى ـ بل للإصلاح من علاقتنا مع سائر الأمم، وجعل هذه العلاقة تتطور نحو التكافؤ ونحو الإفساح من حرية قرارنا.

وللتغلب على ما تشكوه كل دولة من دولنا من نقص فى الأموال أو نقص عدد العلماء والفنيين ـ أو أحيانا فى كليهما معا ـ فإن الحل المتاح أمامنا هو أن نضم امكانياتنا جميعا حسب مخطط يوزع الأعمال وينسق بينها ومسئولية التخطيط لهذا العمل العظيم والإشراف على تنفيذه، يجب أن تتفرغ لهما المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، لأن هذا العمل هو المدخل الحقيقى إلى الارتقاء بمجتمعاتنا إلى مصاف الأمم التى تمسك ببعض ناصية مصيرها، لأنها تعلم الكثير مما يعلمه الآخرون، وتقدر على الكثير مما يقدورن عليه. وحبذا لو تفرغت كذلك لنفس الغرض المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم فتتضافر جهود الدول العربية والإسلامية. فإن ذلك سيزيد من سرعة الإنجاز بتوسيع الإمكانيات العلمية والمادية المعتمدة.

وعندئذتزداد أهمية ماندعو اليوم إليه من اجتهاد فى تعريب العلوم، لأن مجتمعاتنا لا تكون مقصورة على استهلاك ما أنتجه غيرها من الأمم بل تكون قد انكبت على الإسهام الجدى فيه، بكل طاقاتها الفكرية والمادية.

وعندئذ تستعيد لغتنا ما كان لها من قوة واشعاع وكفاية، لما كانت سيدة لغات زمانها فى أداء حصيلة البحث العلمى والأجتهاد الفلسفى، وتسمية ما يستنبطه أهلها من مرافق الحضارة. هذا هو التحدى الكبير الذى على شعوبنا الفوز به لتمسك بزمام مصيرها، وتدخل المحافل الأممية وهى قادرة على الإسهام فى جلائل الأعمال، لافقط مدافعة عن حقوقها المهضومة أو مندددة بما تتعرض له من اعتداءات على الأرواح وعلى الأرض وعلى الثروات وهو عمل يستحق أن تضحى دولنا فى سبيل تحقيقه بكل غال وأن تضمن له الوسائل اللازمة، من تفريغ ثلة من أكابر علمائنا، ورصد المبالغ المالية الكافية لإنجاح خططهم، واتخاذ القوانين الملزمة لسائر الجامعات ومعاهد البحث، للعمل فى إطار تنسيق عام تشرف عليه المنظمة. بتنامى المبادلات الاقتصادية والثقافية، وتزايد التفاعل مع المجتمع الدولى، تتسرب إلى مجتمعاتنا ألوان من السلوك، ونماذج من التفكير، تنتمى إلى الحضارة الجديدة التى تنافس على زعامتها أوروبا وأمريكا، والتى هى فى طريقها إلى أن تسود العالم بأسره. وتتسرب هذه الشوائب فى طى ما نتطلع إليه من إنتاج ثقافى وفنى، وما نأخذ به من أساليب الفكر الحديث، ومن خلال مانتعود الاحتياج إليه من أجهزة ووسائل تقنية أصبحت من ضرورات الحياة اليومية.

نعم كل واحدة من هذه الهنات لا وزن لها - أو هى تبدو كذلك - ولكنها أكثر من أن تحصر وهى تكتنفنا من كل جانب. ومجموعها ثقيل الوطأة ويؤول بمجتمعاتنا إلى تغيرات عميقة تمس التقاليد وتنفذ إلى القيم الاجتماعية، وتنال أحيانا من القيم الأخلاقية وإذا بنظرتنا إلى الأشياء تتغير، وإذا بتقييمنا للأمور يتبدل. ينحل، من حيث لانشعر، ورباط التكافل بين أفراد العائلة. وتضعف أواصر التضامن داخل المجتمع. والتضامن والتكافل هما من أهم مقومات حضارتنا ومن أقوى دعائم مجتمعاتنا.

وهذا هو التحدى الثانى الذى تواجهه مجتمعاتنا العربية وقد يحبط جهودها فى التغلب على التحدى الأول، باختلاف السبل أمامها وتفاقم الجدال فى خصوص آثار التنمية على الأصالة، وما ينتج حتما عن مساعى الحداثة من مخاطر تختلف فى تقييمها، وفى طرق التحصن منها.

فالتحدى الأكبر الذى تـواجهه مجتمعاتنا اليوم ـ بعد تحدى التـنمية وبسببه ـ اليوم ـ إنّما ينصب أساسا على إيجاد توازنات حية مرنة بين فروض التنمية وماتقوم عليه من اجتهادات وحركية وتطور، وبين واجب الحـفاظ على شخصيتنا الحضارية وذاتيتنا الثقافية.

وتلك من أكبـر المعضلات التى تواجـهها الإنسـانية عامـة. وهى أشد وطأة وأصعب مراسـا بالنسبة إلى مجتـمعات مختلفـة لا تملك من الحيوية الاجتمـاعية والحركية الاقتصادية ما يمكنها من حرية القرار وشرف المسئولية.

وأخطر ما يهدد مجتمعاتنا من جراء ذلك، تضاؤل الرابطة بالتراث، وتراجع عاطفـة الانتمـاء عند من يسمـيهم الجـاحظ بـ "النابتة" لتـغلب الانبهـار عندهم بحضارة قدرت على ضبط نوامـيس الطبيعة ونفذت بالحس أو بالمعنى، إلى أقطاب الكون، إضافة إلى أنها أعطت الإنسان الغـربى قوة سيطرة لم يسبق أن ارتقت إلى مثلها أمة فى التاريخ.

ومن نتائج هذا الانبهار أنه يجعل، إلى جانب ثقافتنا القومية، ثقافة مرجعية تحكم تقييماتنا الأدبية الاجتماعية والفكرية وتغير من لغتنا، لا فقط بإدخال كلمات أجنبية عليهـا، بل بتغيير سبك جملهـا، وبإقحام تراكيب أعجمية فـيها، وقوالب وصيغ تعبيرية ليست متآلفة مع النفس الأسلوبية الذى تختص به لغتنا.

لكن شئنا أم أبينا ثمن ماتصبو إليـه، شعوبنا من ازدهار وتقدم وسؤدد ، هو هذا الثالوث من المرجعيات التى تفرض علينا حضاريا، وثقافياً، ولغوياً.

وإذا نحن تصدينا للعملية الإنمائة بكل ما تعنيه من تفعيل المجتمع، وإخراجه من السلبـية فـإن وعينا لخطر هذه المـرجعـيات الحـضارية على صـيانة ذاتيـتنا من الانبهار، وحـثنا على الأخذ بالنسبية فى تقـييم مخاطر ما يسمـيه البعض بالتلوث الحضارى والثقافى واللغوى وكفيل أيضا إقناعنا بالسعى لمعالجة ما يمس القيم العليا واللحمة التى بها تماسك مجتمعاتنا، بما يلزم من حيطة وحذر.

فمدار رهـان التنمية إنما هو فى القدرة على التـمييز بين الجـوهر والإعراض فأمـا الجوهر فهـو بناء مجتـمعات قـوية، مزدهرة يحق الاعتـزاز بها. وتلك هى الكرامة الحقيـقيـة وأما الإعراض، فما سوى ذلك من تنظيمـات دخيلة أو قديمة،

بعضها مرتبط بظروف الزمان والمكان، وبعضهـا يختلف باختلاف البيئات الحضارية والأجواء الثقافية.

والتـميـيز بين الجـوهر والأعـراض، أن يصبح واضـحاً كل الوضـوح لدى شعوبنا، فانه يمكنها من الصـبر على بعض الأذى، من أجل الحصول على أسباب العزة والكرامة.

هذه الصحـوة بإحكام التمييـز بين الأمور وجعل كل منهـا فى نصابه. هذه الصحوة ضرورية حتى لا تخطئ مجتمعاتنا، فتتجه إلى تحديات غير نافذة، فتخرج من ساحة التاريخ، لذهاب ريحها وانقطاع جهدها.

وضرورة هذه الصحـوة تزداد قوة وتأكداً، نظراً إلى وجود أمـتنا فى منعرج من صراعهـا مع الصهيونية : فـإما أن نكسب معركـة السلام مع إسرائيل، وذلك يتطلب منها اقتصاداً نامـيا بحق، وجهوداً متناسقة بجد، لأن السلام مـعركةحامية الوطيس، يكسبها ذوو الإرادة القوية المعززة بطاقات عتيدة من العلوم والتكنولوجيا والتنمية الشاملة، وإما أن يتم لإسرائيل - لاقدر الله - ما خططت له الصهيونية من هيمنة عـلى المنطقة وثرواتها، فـتكون دولنا قد فـشلت فى قيـادة الحرب، وتكون شعوبنا قد خسرت معركة السلام.

فى تاريخ أمتنا فترات كانت فيها تروم بلوغ أهداف جليلة. فإذا بنكبات تحل بها أو بفتن تزعزع أركانها، فتنكس مسيرتها نحو القوة والعزة.

وفى تاريخ الإنسانية مواعظ تشير إلى أن الأمم، كـالأفراد، معرضة للموت والاندثار، لصروف كثيرة من التـاريخ، منها انقطاع الصلة بالجذور أو الوقوف عند الماضى والانشغال عن المستقبل.

إن قوة الأمة من قـوة جذورها ومن قدرتها على صنع مصيـرها، معا بدون انفصام بين هذين الركنين.

وإنه من جد شعوبنا أن تؤلف أمة، بتاريخهـا المشترك، وحضارتها المجيدة، وهذه اللغة تحدت الزمان، ونفذت إلى البيئات الثقافية الدانية منها والقاصية.

وقد كان الانتساب إلى أمة واحدة أحيانا مجلبة للمتاعب لسوء فهم بعضنا للأمة، والخروج بعضنا عن فروض الأخوة والتضامن والمحبة التى هى أصل معانى الأمة.

ورغم كل شىء يبقى أن الأمة رصيدنا ينبغى ألا نفرط فيه، كما ينبغى أن لانسئ التصرف به.

أن تذهب ريح أمتنا العربية بتشتت شعوبها وتناقص اجتهادات دولها، فإن وزن كل شعب من شعوبنا ينخفض، ومكانة كل دولة من دولنا تنتقص.

عندئذ لاشك أن إشعاع ثقافتنا فى العالم سيتراجع، وأهمية لغتنا فى المحافل الدولية ستتضاءل فترتد هذه وتلك إلى إقليمية ضيقة دون رسالة إنسانية تذكر، ودون استناد إلى فضاء بشرى منتظم الأوصال.

بهذا الاعتبار، فإن كل ما يتعلق بنهضة مجتمعاتنا : فضاء حضاريا وثقافيا ولغويا وكل ما يهم شعوبنا : أمة متضامنة الاوصال متكاتفة فإنه يهم هذا الملأ الكريم الذى رسالته الذود عن اللغة العربية فى جذورها وفروعها.

إن جيلنا مطالب بأن يجد نقط الوئام والتضافر بين القوى التى تشد أوصال هذه الأمة : اللغة والحضارة والسياسة حتى لا ينفرط العقد بطغيان أحد الأثافى على الاثنين الأخرين.

وينبغى أن تنظم نقط الوئام حول محور رئيسى ذى قطبين : التكافل فى التنمية والتضامن حين البأس باستقامة هذين الركنين، تستقيم رسالة أمتنا الحضارية ويتسنى لها صيانة شخصيتها وزيادة لغتها قوة وعزاً.

ملحق(ب)

وظيفة الترجمة بين حرف المسطرة والمقص(*)

د / محمد القويفلي

كنت قد كتبت فى الرياض العدد (٩٦٦٣) أسطراً حول كتاب (بلاغة الفن القصصى) وترجمته إلى العربية وقد أبديت سرورى بتلك الترجمة، على الرغم من أن الفارق الزمنى بين ظهور الكتاب بالانجليزية جاوز ثلاثين سنة.

ثم قرأت فى الرياض العدد (٩٧٠٥) مقالاً بعنوان (وظيفة الترجمة) للدكتور بشير العيسوى. أشار فيه إلى ترجمات من ضمنها الكتاب السابق وحديثى عنه، ويرى أن أسفه على ضياع الجهد فى ترجمة كتاب وضع رجله على اعتاب الشيخوخة، ويرى أن ترجمة كتب فى مثل عمره، بل كتب يساوى عمرها نصف عمره يرى أنها تقود إلى "عبور إلى الخلف" على حد تعبيره.

تحوى الأسطر اللحقة محاورة لمنطقة الأساس لا لرأيه فى الكتاب المذكور. وقبل الدخول فى الحوار ينبغى أن أشير إلى أن ما تحوية الكلمات اللاحقة من آراء لا تعنى على الإطلاق رفض الأفكار النقدية المعاصرة ولا ما قد يأتى بعدها وما بعدها، إذ أننى أعتقد اعتقاداً صادقاً أن ساحة النقد الأدبى بعامة لم تشهد فى تاريخها ازدهاراً وتنوعا وغنى ومناهج تطبيقية تتسم بقدر كبير من التماسك مثلما هو حادث منذ الخمسينيات. ولا تزال سحب الفكر النقدى تمطر من قبل. وأرى أن على المشتغلين فى الحقل واجب ترجمتها ودراستها واستيعابها استيعاباً حقيقياً وتجريها أيضاً، لا الاكتفاء بأحد موقفين : إما رفضها دون أسباب سوى كونها أجنبية، أو تبنيها تبنياً كرنفالياً.

أقول : حاولت مقالة (وظيفة الترجمة) الارتكاز على مفهوم زمنى واحد، سأعرض له وسأحاور جوهره وابعاده.

١ ـ وهم الفرضية/ النتيجة.

بدأت المقالة بكلام تدعوه (فرضية) ومن أولى بدهيات الافتراض كون (الفرضية) مقولة صائبة تحتمل الخطأ ولا مندوحة عن تأسيسها على بعض معطيات

(*) جريدة "الرياض" : ٩٧١٩ بتاريخ :٢/ ٢/ ١٩٩٥.

اختبرت، لا مجرد هواجس عبرت، أى أن القضية ليست قضية (رأى) محلق فى سماء العاطفة. وعليه ينبغى أن تتسم الفرضية نفسها بقدر من الوضوح ويغير قليل من التماسك، لتكون شيئاً حياً قميناً بأن يختبر ويُختبر، أما الميت فليس له سوى دعاء بالرحمة يتلوها قبر.

وطرائق اختبار الفرضيات متعددة تعدد المناهج وتنوع المعارف على أنه لا غنى لطريقة تحاول التوسل بالعلمية من أن تكون منطقية متماسكة متدرجة وفى الطرف الآخر من المعادلة البحثية تقع النتيجة التى قد تُكشف عن صحة الفرضية، ومن النادر أن تكون كاملة الصحة فى صياغتها الأولى، وقد تكشف النتيجة عن خطل الفرضية، أو عن صحة بعضها وخطل أجزاء منها، فتعدل وتختبر كرة أخرى وأخرى. لتعدل إلى أن تضحى نتيجة وقد تبقى النتيجة معلقة وكذلك الفرضية : على زمنا آخر يختبرها بأدوات لم تكن متوفرةللمختبر الأول. لقد شطر علماء الذرة بمعادلات فرضية خطوطا على لوح الكتابة قبل تفجيرها فى الواقع اختباراً لنتائج تلك الفرضيات لا اختباراً للفرضيات نفسها.

اعلم أنى أحاول توضيح الواضح، وتبيين البين، وإيقاد شمعة فى جوف الظهر وسط الصحراء، وكأنما أحاول القول أن الشمس تشرق من المشرق، ولكن ما الحيلة ان كان غبش عسيبى، يقود إلى غير ذلك، أو يوحى به.

ولنبدأ بقراءة الفرضية نفسها، قبل النظر فى كيف اختبرت المقالة تلك الفرضية التى طرحتها فى البداية، آمل من القارئ الكريم قراءة كلام الدكتور العيسوى بدقة، يقول الدكتور فى الفقرة الأولى السطر ٧ ـ ١١ بوجوب أن "تتوفر فى النصوص المترجمة إلى العربية بعض (العناصر) التى تؤدى إلى (تحديث) ما لدينا، وأن يكون فى تلك النصوص و (بنفس القدر) (مسحة من المعاصرة)، انتهى التأكيد من عندى.

ما ماهية تلك (العناصر) التى يفترض أن (تؤدى) إلى (تحديث) مالدينا؟ لا إجابة. ولسنا بحاجة لواحدة لأن تنازل الكاتب عن التحديث وشيك. وما معنى (مسحة المعاصرة)؟ لا إجابة وإن كنا سنعلم لاحقاً أنها ترتكز على عنصر واحد يتيم، وأن المقالة كلها مبنية على هذا العنصر.

إن كل ما ندريه حتى الآن أننا أمام عنصرين هما (التحديث) و (مسحة المعاصرة)، لاحظ (مسحة المعاصرة) لا (المعاصرة). ومسحة الشيء تعنى شيئاً منه لا كله تقول العرب "عليه مسحة من جمال أو هزال، شيء منه". وواضح أن تلك (المسحة) عند الكاتب الفاضل تساوى من حيث الأهمية تلك (العناصر) المتعلق بها (التحديث): فهو ينص على وجوب توفر العنصرين (بنفس القدر). الخلاصة هى أن (مسحة المعاصرة) تختلف عن التحديث، ولكنها تشترك معه فى الأهمية. تنتهى الفقرة الأولى من المقالة بهذا

ثم تسرد المقالة فى الفقرة الثانية عناوين خمسة كتب مترجمة وتعنى عناية (خاصة) بتوضيح تواريخ ظهور الطبعة الإنجليزية الأولى منها وتواريخ ترجمتها : فتوضح أن اثنين منها ظهرا فى ١٩٦١ - أحدهما (بلاغة الفن القصصى) ترجم فى ١٩٦٤، أما الآخر فترجم فى ١٩٨٩، وواحد ظهر فى ١٩٨٦، وترجم فى ١٩٩٣، واثنان ظهرا فى ١٩٨٨ ترجم أحدهما فى عام ١٩٩١وترجم الآخر فى عام ١٩٩٠، واالكتب كلها فى مجال علمى الاجتماع والتربية، ما عدا كتاب (بلاغة الفن القصصى) هذا كل ما حوته الفقرة الثانية.

وفى منتصف العمود الأول من المقالة تبدأالفقرة الثالثة حيث نقرأ صياغة ثانية للفرضية السابقة نفسها - آمل من القارئ الكريم ملاحظة تحولات الموقف من مفهوم (التحديث/الحديث) - يقول الدكتور الفاضل ما نصه نصاً حرفياً دقيقاً : "ومن مقارنة تاريخى الطبعة الأولى فى الإنجليزية وظهور تلك الكتب مترجمة إلى العربية، يمكننا القول أن الكتابين الأولين وهما التميز : الموهبة والقيادة وكذلك "بلاغة الفن القصصى" - رغم اختلاف الحقلين اللذين يتناولهما - قد أخلا (بالفرضية) الأساسية التى ينبنى عليها هذا المقال (وهى) تحديث الموجود العربى من خلال ربطه بما هو معاصرة مماثلة وليس تحديثاً فقط ولكن الظاهر لابد أن نتخلف بغض الوقت أو حتى العقود عما لدى الغرب لذا يكون ما لديهم معاصراً بينها هوجديد حديث لدينا، والمعاصر ابن اليوم، أما الحديث الذى نقصده فهو ابن عشرين أو أربعين سنة مضت". انتهى التأكيد من عندى.

أقول : إنا صرفنا النظر عما فى الأسلوب من ضعف وتداخل وحاولنا قراءته مرة ومرة لنتبين المقصود، يتبين لنا أن كلمة (مسحة) قد اختفت بقيت (المعاصرة)،

وإن المقالة تؤكد أن (المعـاصرة) شئ غير (التحديث)، وإن الفرق بيـنهما فرق زمنى تاريخى. ويتضح من عبارة (نتخلف) أن (التحـديث) غير مطلوب أما المطلوب فهو (المعاصر) "ابن اليوم" على حد تعبير الكاتب.

بمقارنة صـيغتى الفرضـية فى الفقـرتين الأولى والثالة يتضح أن (التـحديث) الذى كـان مطلوبا فى الصيـغة الأولـى، والمساوى من حـيث أهميـته لـ (مـسحـة المعاصـرة) ـ هذا التحديث أمسى غـير مرغوب فـيه فى نهاية الصـيغة الثانيـة. أما (المعاصرة) فقد أصبحت هى المطلوبة وحدها فى نهـاية الصيغة الأولى (مسحة) منها فحسب.

وهكذا ناقضت المقالة فى بداية الفقرة الثالثة ما قالته فى نهاية الفقرة الأولى. ولست بحاجة إلى التأكيد على أن الفرضيـة لم تقف على قدميها، دع عنك سيرها بحثاً عن تأكيد ذاتها. لقد كانت المقالة فى غنى عن تناقض يتحشرج فى حلقها قبل أن تقف على قدمـيها. تغنيهـا عنه الفقرة الثانيـة وما فيهـا من إشارات إلى تواريخ ظهور الكتب وتواريخ ترجمتها. إن (فـرضية؛؛) المقالة هى أنه ينبغى ألا نترجم من المؤلفات سوى الكتب الـساخنة التى لم يمض على خروجها مـن المطابع سوى سبع سنوات (أو أقل من سبع والسبـع كثير كما يقـول الدكتور الفاضل (نسـتكثر السبع سنوات) التى تفـصل بين ظهـور الكتـاب ونقله إلى العـربية وذلك تعـقـيبـاً على ملاحظته أن كتاب (معاونة الكبار على التعلم) ظهر فى ١٩٨٦ وترجم ١٩٩٣.

وهذه على افتـراض منطقيتـها ـ لا تعدو أن تكون حكمـا عاطفيـاً جاهزاً، أعطاه وعى الكاتب اسم فرضية. فى حين أن ذاته غير الواعية تعلم غير ذلك ودليل هذا بنصه موجود فى الاقتباس أعلاه من الفقرة الثالثة (بدايتها). ألا يقول الاقتباس بعد سرد تلك الكتب أن كتابى (التمييز : الموهبة والقيادة) و (بلاغة الفن القصصى) "قد أخلا بالفرضية".

الآن، أن قبلنا (جدلاً) كون تلك فرضيـة، فإخلال شىء بها يعنى أن العيب فى الفرضية ذاتها لا فى الشىء نفسه فى المـفعول به لا بالفاعل. يبقى أن ترجمتى الكتابين قـد أخلتا، فى حقـيقة الأمـر، بموقف سابق التأسيس فى ذهن الكاتب، حكم مقطوع بصـحته، جملة إنشـائيه تتكئ على ذاتها، لا على واقع يفـترض أن

يحققهـا أو ينفيها : لهذا السبب نجدها تستمد خبريتها من انشـائيتها، تنطلق من ذاتها لتسبح فى ذاتها، عائدة إلى ذاتها.

إن سألنا : ما معنى الكتب المعاصرة؟ جاء الجواب : أى تلك التى لم يمض على صدورها أكثر من سبع سنوات. وإن سألنا لم ينبغى أن نقتصر على ترجمتها؟ جاء الرد : لأنهـا معاصرة وأن استفهمنا عن الذى يعطيـها قيمـة؟ ردت المقالة : كونها معاصرة، وإن قلنا ما يدرينا أنها معاصرة فعلاً؟ أتى الجواب : لأنه لم يمض على صدورها أكثر من سبع سنوات.

تأسيساً على ما سبق وبحساب بسيط جداً نجد أن عام ١٩٨٩ هو أقدم تاريخ لصلاحية كتاب للترجـمة فى سنتنا هذه. أما الكتب التى صدرت قبل هذه السنة؛ فشرط (المعاصرة) غير متحقق فيها؛ فحقها من ثم أن توضع فى متحف الأفكار تمر بها الأجيال لترى آثار الأقدمين.

وأن عنّ لنا أن نسأل : ما مصير كتاب ترجم قبل سبع سنوات، بعد صدور الأصل بست سنوات، أى أنه عمره بات ثلاثة عشر عـاماً ولم يعد (معاصراً)، أن نضع التـرجمة مع الأصل فى متحف تاريخ الأفكـار إياه؟ أم أن الترجمـة تعطى الكتاب (حـياة أخـرى)وتجدد شبـابه بجعله (عـصرياً) ابن اليـوم، وهو عند أهله (حديث) ابن الأمس؟ هذا سؤال، وغيره كثير.

وموجز القول هو أن مقالة (وظيفة الترجمة) أعملت (مسطرة) تاريخ صدور الكتب لتحكم بصلاحيتها للترجـمة، فما كان منها (قياس) سبع سنوات (صلح)، وما تعدى علامة السبعة فى المسطرة (لايصلح) [هكذا].

وقد مر بـنا دليل واضح لامراء فيه على توظيف (المـسطرة) لكننا لم نتوقف عند دلالته المتـعلقة بالمسطرة، فلا بأس من أن نذكـر به دون إعادته كامـلاً، يقول الدكتور الفاضل فى بداية الفقرة الثالثة مـن المقالة أى بعد الفقرة الثانية التى حددت مـسرداً بالكتب وتواريخ ترجـمتـها : "ومـن مقـارنة تاريخى الطبعـة الأولى فى الإنجليزية وظهـور تلك الكتب العربية يـمكننا القول أن الكتابين الأولين قـد أخلا بالفرضية الأساسية [. . .]"

هاك دليل آخر : عندما أتى الدكتور الفاضل إلى كتاب (بلاغة الفن القصصى) حكم بسخرية لا تخفى بأن ترجمته ليست سوى تعلق بماض زال بزوال أهله؛ وكاد أستاذنا الفاضل أن يحيى تصنيفاً مات بعد ١٩٦٧م. ليحكم (برجعيتى)، أما مترجمو الكتاب (فرجعيتهما) أعظم؛ هذا كله تأسيس على تاريخ صدور الكتاب (١٩٦١) فحسب، أى أن الدكتور الفاضل لم يشر سوى إلى عنوان الكتاب وتاريخ صدوره وعام ترجمته، أما ما يحويه الكتاب فلم يحظ من الدكتور الفاضل ولو بإشارة يتيمة، أو كلمة مفردة. وكان المتوقع ـ لسلامة إجراء اختيار (الفرضية؛؛) على الأقل ـ أن يقارن محتوى الكتاب بواقع النقد الآن، ليحكم بقدمه وأن الترحيب بترجمته بعد كل هذه السنين ليس سوى "مفارقة" على حد تعبيره.

لست فى حقيقة الأمر، بصدد الدفاع عن الكتاب، فالكتاب يدافع عن نفسه بنفسه، وكتاب ليست هذه صفته لا يستحق أن يكتب أصلاً. ثم أن الدكتور لم يقل شيئاً عن الكاتب نفسه ؟ أما سنة ١٩٦١، فلا أدرى شيئاً عن جنايتها عليه.

والخلاصة هى أن الدكتور الفاضل قرأ تاريخ الصدور ولم يقرأ الكتاب؛ وما حاجته إلى قراءة الكتاب والمسطرة فى يده؟

أما من يقرأون الواقع النقدى العربى، بدون مسطرة ومن غير مثلث، وبلا منقلة؛ فقد سرتهم رؤية الكتاب "بلسان عربى". انظر ما كتبه الدكتور عبد الله الغذامى فى نهاية (السحارة) الرياض العدد (٩٦٦٢).

٢ ـ وهم الإلغاء المعرفى

لقد وضعت المقالة المعارف الإنسانية فى سلة واحدة، أو على لوح مسطح واحد، واعملت المقص تقوده أرقام معينة على طرف المسطرة؛ مغفلة حقيقة أن المعارف الانسانية تختلف فيما بينها من حيث تطورها، وتختلف من ثم من حيث احتمال إلغاء الجديد منها القديم.

أقول بإيجاز ـ وإن لم اكن بحاجة للقول ـ أن حقلاً يقع فيه علم كعلم الكمبيوتر يتطور (تطورا خطياً) بمعنى أن اللاحق يلغى السابق؛ فأهل الاختصاص يقولون أن كل عقد من الزمن يشهد ظهور جيل جديد يحيل الجيل السابق ومعظم علومه إلى تاريخ. تأسيساً على هذ لو ترجم شخص كتاباً، أو مقالة فى علم الكمبيوتر صدرا قبل خمس عشرة سنة؛ لحكمنا بعبثية ما يفعل، ولأسفنا على

ضيـاع جهـده. وقل الشىء نفسه مـع تقليص المدة إلى الثلث. بل دون ذلك ـ عن بحث عن مرض مثل مـرض (الإيدز) ـ وقانا الله وإياكم السوء ـ فالأبحاث فـيه قد تصبح (قديمة) قبل ظهورها أحيانا فى الدوريات المتخصصة.

أما الحقل المعرفى الذى ينتمى إليه النقد الأدبى فحقل يتطور (تطورا دائريا). بمعنى أن مقولة الإلغاء فـيه عير واردة فهو يتراكم تراكـما تصاعديا دائريا. ولا يلغى بعضه بعضاً من حـيث هو فكر قابل لأن تتلبسه حياة فى فترة مـا؛ فيصبح جوهره (معاصرا) كرة أخرى بعد أن كان (معاصرا) قبل مئات السنين.

أقول؛ لاينى الفكر النقدى يدور حول قضايا مركزية ذات شعب تقل وتكثر، تتغير صيغ الأسئلة المطروحة حولها، وتتغير المنطلقات، وتختلف الرؤى، نعم ولكن مهما ابتعد سـؤال عن سؤال ومنطلق عن منطلق لا يلغى السابق منها اللاحق. بل لا يلغى الناقد نفـسه أن هو عيـر موقفه، أو عـدله تعديلاً جذرياً، وهم كـثر. أن التاريخ نفسه ـ أعنى تاريح النقد الأدبى ـ ليس شيئاً سوى هذا.

حتى تلك الأفكار التى نظن أنـها (حديثة) غـير مسبـوق إليها نفاجـأ بوجود جوهرها فى كتب جكمنا بأنها كتب صفراء عمرها مئات السنين لا عشراتها، أذكر فى هذا السياق بمربع جريماس الشهير ووجود أشباهه فى التراث العربى كما أخبرنا بذلك د. محمد مفتاح، انظر إلى شىء قريب، أعنى تعليق د. ميجان الرويلى فى عدد الرياض نفـسه الذى نشرت فيـه مقالة (وظيفـة الترجمة)، وحديـثه عن أن ما تحدث به (دريدا) عن الاستـعارة وفناء صورها تحدث عنه الجرجانى قـبله، وما أبعد الأول عن الثانى تاريخياً وثقافياً.

بل انظر إلى ما يصدر فى الغـرب الآن، تجد فيه عودة واضحـة السمات إلى أفكار وطروحات ظن أقوام إن مد البنائيـة والسيميائية والتفكيكيـة. .قد أحالها إلى ذكرى تلوكها رياح التاريخ.

أعوذ لتلـك (المسطرة) الزمنية لأسـال متى ترجم كتـاب سوسـير (درس فى الألسنية العامة) إلى الإنجليزية، ألم يترجم بعد أكثر من أربعين سنة من صدوره؟.

ولم تعد طباعة كتاب بارت Elements Of Semiology خمس عشرة منذ صدور ترجمته الإنجليزية فى ١٩٦٧ ؟ يظهر أن أصحابنا الخواجات لم يكتشفوا بعد تلك المسطرة السحرية؟

ختامـا لهذا الجزء من الحديث أشـير إلى أن الدكتور الفاضل تـفضل بسؤالى قائلاً : "ألايرى معى [. . .] محمد القويفلى أن هذه العملية [يقصد ترجمة كتاب بوث] ستكون عبورا إلى الخلف؟".

أجيب على السؤال بسؤال هو : أيعتقـد الدكتور العيسوى أن نقد الرواية فى العالم العربى تجـاوز (فعلا) ما فى كتـاب بوث؟ بل، هو هل وصل إليه؟ دع عنك جملة أفراد هنا وهناك لـيسوا بحاجة إلى أن يترجـم لهم أحد. اخشى أن المسطرة إياها هى التى أملت السؤال، وما أخطر أن نقرأ الواقع العربى (بالمسطرة).

ولا أدرى كيف وجدت مقالة (وظيفة الترجمة) علاقة بين ما قاله رانسوم عن كتاب بوث وبين أفكار رانسـوم عن الشعر الفيزيقى والأفلاطونى حـتى يظهر سؤال عمـا إذا كنت أقـبل أن يستـشهـد طالب النقد فى نهـاية ١٩٩٤ بما قاله رانـسوم؟ يؤسفنى ألا أكون عند (حسن ظن) الدكتـور العيسوى الذى تلطف فظن أنى لا أقبل بذلك ولا أرتضيه.

أقول مجيبا عن نفسى : نعم أقبل أن يستشهد طالب النقد فى عام ١٩٩٤ بما قاله رانسـوم ومن كان قبل رانسـوم ومن كان قبـلهما، وإن وجـد طالب النقد فى حفريات الفراعنـة نصوصا نقدية، أو اكتشف نصوصـاً على جدران الكهوف، ورأى أن يستـشهد بهـا فله عندى مطلق الحرية أن يفـعل ذلك، وأكون له من الشـاكرين العارفين بفضله، إن هو دلنى على مصادره.

القضية يا أخى ليست قـضية بمن نستشهد فلسنا أمام نص مـقدس وآخر غير مقـدس، وإنما هى قضية إلمام بطرائق الاسـتشهـاد، وهل يعى المستشهـد دلالة ما يستشهـد به؟ وهل باستطاعة طالب النقد استـثمار ما يستشهـد به؟ وهل يتسق ما يستشهد به مع ما هو بصدده؟ وهل. وهل؟ الأسـئلة كثيرة، وليس من بينها سؤال بمن نستشهد فى مجال النقد الأدبى.

٣ ـ وهم التماهى الحضارى

لا أكاد أصدق أن مـقالة (وظيفـة الترجمة) أعـملت تلك المسطرة على بساط الحضارة لتقص طرفة قصا زمنياً؛ اعـتقاداً منها أن بإمكاننا أن نساوق الغرب بمجرد

ترجمة كتب صدرت عندهم حديثاً؛ لنحقق - على حد تعبير الكاتب - "معاصرة مماثلة" أسأل ببراءة : ماذا عن ماضيهم هم الذى بنيت عليه تلك الكتب؟ أم تراها نشأت من فراغ؟

نعم ينبغى أن نعرف ما لديهم اليوم، ولكن هذا لا يكفى، لكى نفهم اليوم لابد من أن نفهم الأمس، أليس كذلك؟ أم أن بوسعنا أن نكون جيرانهم فى عمارة مجاورة فى الطابق الخامس الشرفة أمام الشرفة، (نصيد) ما (ينشرون)، ونحن لم نبن بعد الطابق الثانى؟ وما دمنا سنضع أمسهم فى المتحف، ونكتفى بملاحظة يومهم، فماذا عن يومنا نحن؟ وماذا عن أمسنا؟ أعنى ما دام أن أمسهم يدفعنا إلى أن "نتخلف بعض الوقت" وهو أب يومهم وجده، فماذا عن يومنا، وماذا عن أبيه؟ وماذا عن جده؟

رحم الله جدى الذى حدثنى أن رجلاً سأل صديقه الصياد عن أحواله فقال الصياد : أحوالى فى تحسن مطّرد، لقد أمضيت يوم أمس فى البحر سبع ساعات، ولم أظفر بسمكة واحدة.

أما اليوم، فلم تلتقط الشبكة شيئاً، ولكننى لم أمكث فى البحر سوى ست ساعات فحسب.

المؤلف :

* من مواليد العريش، شمال سيناء، ١٩٥٤.

* تخرج فى قسم اللغة الإنجليزية، كلية الألسن، جامعة عين شمس بتقدير جيد جداً، عام ١٩٧٧.

* حصل على الماجيستير فى اللغة الإنجليزية من جامعة عين شمس، وكان موضوع الرسالة " البلاغة عندما ثيوآرنولد "، بتقدير ممتاز، عام ١٩٨٢.

* حصل على الدكتوراه من جامعة عين شمس، وكان موضوع الرسالة "فلسفة التسامى فى أعمال رالف وولدو إميرسون" بمرتبة الشرف الثانية، عام ١٩٩٠.

* يعمل بالتدريس الجامعى منذ ١٩٧٧ وحتى الآن.

رقم الايداع	٩٥ / ٧٩١٠
الترقيم الدولى I. S. B. N	977 - 10 - 0765 - 3

